

## مصطلحات البحث:

**البيشمركة:** هو مصطلح يستخدمه الأكراد للإشارة إلى المقاتلين منهم، وتعني حرفيا الذين يواجهون الموت.

**العدالة الانتقالية:** مجموعة التدابير القضائية وغير القضائية التي يتم تطبيقها في مرحلة التحول الديمقراطي بعد الصراعات، وتقدم اعترافا بحقوق لضحايا وتحاسب المجرمين وتشجع الثقة المدنية.

**قوى ٨ آذار في لبنان:** هو تحالف نشأ في لبنان بعد اغتيال رئيس الوزراء الأسبق رفيق الحريري، وهو حليف لسوريا، ويضم كل من حزب الله وحركة أمل وأنصار ميشيل عون.

**قوى ١٤ آذار في لبنان:** تحالف سياسي من الأحزاب والحركات التي ثارت على الوجود السوري في لبنان بعد اغتيال رفيق الحريري، وتشمل تيار المستقبل وأنصار سمير جعجع وغيرهم.

**عاصفة الحزم:** عملية عسكرية بقيادة سعودية ومشاركة (١٠) دول عربية لإرجاع الشرعية الديمقراطية في اليمن، وضد سيطرة الحوثيين عليها.

## المقدمة:

إن الانظمة الدكتاتورية الشمولية عندما تستبيح دماء شعوبها وتنهب ثرواتهم وتستبيح أعراضهم لا يبقى أمام هذه الشعوب إلا الخروج للمطالبة بالحرية وإن قدمت مئات آلاف من الشهداء، والشعب السوري قام بذلك للمطالبة بحريته من نظام الأسد وعصابته المجرمة، ولكن هذه الثورة لم تقف امام الأسد فقط بل واجهت أيضا بعض القوى الإقليمية والدولية التي ساعدته وساندته بكافة الوسائل وإن كان هناك أيضا قوى قد قدمت المساعدة المحدودة لثورة الشعب السوري، إن هذه القوى وهي تتدخل بأي شكل بالثورة السورية إنما تبحث عن مصالحها الخاصة ضمن اجنداتها.

هذا البحث يتناول بالدراسة القوى الفاعلة في الثورة السورية سواء كانت دول أو تنظيمات أو ميليشيات سواء كانت مع الثورة أو ضدها، ويتم تحليل أدوات تدخل هذه القوى وكيفية هذا التدخل وإلى أي مدى ستستمر هذه القوى بالتدخل.

## مبحث تمهيدي (نظرة إلى سوريا الحديثة):

سنلقي في هذا المبحث التمهيدي نظرة على واقع الحياة السياسية في سوريا منذ الاستقلال إلى بدايات الثورة السورية (٢٠١١)، ويتكون المبحث من جزأين الأول استعراض المسار السياسي والثاني ارهصات الثورة السورية وبداياتها وأسباب انطلاقها.

### ١- المسار السياسي:

تعد سوريا من الدول التي تم استخدام العنف فيها بكثرة لأهداف سياسية حيث عاشت سوريا هذا الأسلوب في فترة الأربعينات والخمسينات والستينات حيث عاشت سوريا تسعة انقلابات وما يقارب من الخمسين محاولة انقلابية. ولم تتوقف هذه الانقلابات إلا مع وصول حافظ الأسد إلى السلطة وأحكم سيطرته على البلاد عام ١٩٧٠.

ربما يكون لطبيعة سوريا الديموغرافية دور مهم في تحديد نظامها السياسي "حيث تعتبر سوريا: تاريخ العالم المتحضر في صورة مصغرة"<sup>١</sup>، حيث استغل المستعمر الفرنسي هذه التركيبة لإثارة الطوائف ضد بعضها ومهد لإيجاد دولة تحكمها جماعات سواء كانت طائفية أو قومية وهي سياسياً لن تستطيع الصمود لأن مثل هذه الدول مصيرها إلى زوال<sup>٢</sup>، مما سم الحياة السياسية في سوريا وجعل حتى الأحزاب تأخذ طابعاً طائفيّاً أو مناطقيّاً، لهذا لم يكن غريباً أن نجد أن أعداد كبيرة من العلويين هم من منتسبي حزب البعث، حيث تسللوا فيما بعد أيضاً إلى داخل النظام من خلال الحزب، مما أتاح للعلويين إحكام سيطرتهم بشكل ما على النظام ومقدرات الدولة مما استثار السنة بالذات وهم الأغلبية ومنهم الإخوان المسلمين. الأمر الذي انتهى بحالة من الصدام بينهم بشكل مرّوع. رغم ان حزب البعث روجّ أنه يحكم سوريا من خلال مجموعة من الأحزاب سميت بالجبهة الوطنية التقدمية وكان منها كل من حزب البعث والحزب الاشتراكي العربي والحزب الوحدوي الديمقراطي والحركة الوحدوية الاشتراكية العربية، والحزب الشيوعي السوري. هذه الجبهة تتولى الحكم منذ عام ١٩٧٢، هذا عدا عما أطلقه حزب البعث بأنه حزب قومي يعمل لتوحيد الأمة العربية ولتخليص فلسطين من المحتل الإسرائيلي، وجعل لنفسه هذه الهالة في سوريا وفي الخارج. أما المعارضة التي لم ترض أن تنضم

<sup>١</sup> روبرت د. كابلان (ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي)، انتقام الجغرافية، ص ٣٦٧.  
<sup>٢</sup> أنظر تيد روبرت جار ترجمة رفعت سيد أحمد، أقلية في خطر، ص ١٨.

لهذه الجبهة أو حتى لم يرضى النظام أن يضمها، تمت ملاحقتها وحظرت، وتم اعتقال قادتها وكوادرها أو فرّوا خارج البلاد مثل الجبهة الوطنية لإنقاذ سوريا والتجمع الوطني الديمقراطي ولا ننسى ما حدث مع جماعة الإخوان المسلمون.

اتصفت مرحلة ما بعد الاستقلال في سوريا بعدم الاستقرار، حيث ما لبث أن تم إعلان قيام دولة إسرائيل على حدودها في فلسطين المحتلة، وأرسلت سوريا قواتها مع الجيوش العربية التي خسرت الحرب في فلسطين. وفي عام ١٩٤٩ جرى أول انقلاب في سوريا على يد حسني الزعيم، ثم توالى الانقلابات والمؤامرات في أروقة الحكم إلى أن تمت الوحدة بين سوريا ومصر عام ١٩٥٨، لكنها ما لبثت سوريا أن انسحبت من الوحدة عام ١٩٦١ لأسباب كثيرة منها أنه لم يكن للإقليم الشمالي سوريا أية صلاحيات وكل الحكم كان بيد الإقليم الجنوبي وبالذات بيد جمال عبد الناصر تحديداً. وفي عام ١٩٦٣ قام حزب البعث بالانقلاب على السلطة وفي ١٩٦٧ شنت إسرائيل الحرب على الدول العربية المجاورة حيث خسرت سوريا وقتها الجولان وكان وزير الدفاع آنذاك حافظ الأسد، واستمر الصراع على السلطة بين اتجاهات وزعماء في حزب البعث. كل ذلك أدى أن يكون الشعب في جهة وحكامه في اتجاه آخر مما أدى إلى مزيد من العنف حيث قام حافظ الأسد بالانقلاب فيما أطلق عليه الحركة التصحيحية. وفي هذه الفترة انضم للجيش الكثير من العلويين ولحزب البعث أيضاً وتم إبعاد الأغلبية السنية عن مراكز صنع القرار في الدولة، وقام حافظ الأسد بتقريب عائلته وأبناء منطقتهم حيث استولوا على المراكز الحيوية والقيادية وأحكموا سيطرتهم على الدولة وتداخلت الخيوط الطائفية بالعائلية بالمناطقية بالحزبية في تلك الفترة من تاريخ سوريا. ولأهمية لبنان بالنسبة لسوريا وبقرار عربي دخل الجيش السوري إلى لبنان (١٩٧٦) في محاولة منه لإنهاء الحرب الأهلية اللبنانية. ولكن ذلك لم يحدث حيث أصبح الجيش السوري جهة فاعلة ومؤثرة في تلك الحرب مما انعكس على الداخل السوري من ناحية الاستقرار الأمني والسياسي. وفي انشغال النظام السوري في لبنان كانت الدولة السورية غارقة بالفساد والمحسوبية مما أدى لاحتجاجات كان أكبرها عام (١٩٨٢) في مدينة حماة، حيث هاجم الجيش السوري هذه المدينة بذريعة القضاء على الجماعة المحظورة (الإخوان المسلمون) وماتشيره من توتر سياسي وإنهاء عمليات الاغتيال التي ادعى النظام السوري ان جماعة الإخوان المسلمين تقوم بها. هذه العملية التي قتل بها عشرات الآلاف من سكان حماة وتم تهديم المدينة، واعتقال الآلاف، وتشريد جزء كبير من

أهالي المدينة.<sup>٢</sup> وخلال هذه الفترة كان نظام حافظ الأسد قد اصطف إلى جانب النظام الإيراني في الحرب الدائرة بين العراق وإيران، كل هذه الأحداث تجرب والشعب السوري في عزلة تامة عن هذه الأحداث. ورغم الهدوء الظاهري كانت مكونات الشعب السوري قد بدأ بينها شيء من الفتور وسيطرة دولة الخوف وسيطرة الأجهزة الأمنية، وأصبحت سوريا دولة الجاسوسية على المواطنين.

حمل عام (٢٠٠٠) وفاة حافظ الأسد والمواطنون يترقبون من سيكون بعده وماذا سيكون بعده، وعندما تولى ابنه بشار ورغم الطريقة التي تولى بها السلطة إلا ان الكثير من السوريين تفاءلوا خيرا بالطبيب الذي درس بالغرب وعاش ورأى كيف يكون المواطن هو صاحب السلطة الحقيقية. الا ان الحقيقة جاءت على غير ما وعد به بشار الأسد حيث سار على نهج والده واستمر يماطل بإجراء الإصلاحات السياسية إلى أن أعلن بعض المعارضين والحقوقيين ما أطلق عليه ربيع دمشق عام (٢٠٠٥) وهي مجموعة مطالب للإصلاح السياسي والتشريعي والقانوني، فكان رد النظام أن اعتقل بعضهم. إن النظام السياسي السوري نظام دكتاتوري وطائفي في جذوره، لذا هو لا يستطيع في الحقيقة إجراء أي محاولة للإصلاح حيث أن ذلك سيجعله يتصدع ويحمل الأغلبية السنية المهمشة إلى صدارة الحكم في البلاد، لذلك لم يكن أمام النظام ليتشبث في الحكم إلا أن يزيد ارتباطه وامتثاله لحكام إيران مما يبعده عن حاضنته الأساسية وهو العالم العربي رغم ادعائه أنه نظام قومي في الأساس، وعندما انطلق ما سمّي (الربيع العربي) في عدة بلدان عربية قال بشار الأسد في مقابلة له مع جريدة وول ستريت جرنال: "إنه لا يمكن أن تصل هذه الاحتجاجات إلى سوريا، حيث أن الناس لهم إيمان عميق بمشروع المقاومة"<sup>٤</sup>.

## ٢ - بداية الاحتجاجات وانطلاق الثورة:

<sup>٢</sup> مجزرة حماة، ويكيبيديا.  
<sup>٤</sup> وول ستريت جرنال، ٣١-١-٢٠١١

لم يكن خروج مجموعة تلاميذ في مدينة درعا جنوب البلاد أواخر شهر فبراير ٢٠١١ في حركة احتجاجية غير منظمة كتبوا خلالها عدّة جمل ضد النظام على سور مدرستهم، لم يكن هذا التصرف إلا تعبيراً عن حلم الشعب السوري بالعدالة والحرية في عالم عربي بدأ يتغير ويسعى إلى الحرية والانفتاح فيما سمي بالربيع العربي، ولكن النظام السوري من خلال قواه الأمنية تعامل بقسوة مع هؤلاء الطلاب مما أدى أن تمتد هذه الاحتجاجات لعدة مدن، وصولاً إلى دمشق في (١٥-٣-٢٠١١) ليطالب المحتجون بإسقاط النظام وليس فقط إجراء بعض الإصلاحات السياسية، ولكنها كانت كلها احتجاجات سلمية ولم يفهم الأمن أن الاحتجاجات هذه المرة مختلفة وأن الشعب السوري لن يرجع هذه المرة كشعب مقهور. إن استمرار قمع الاحتجاجات السلمية والتي طالما نادى بأن الشعب السوري شعب واحد وأن لا فرق بين مدنه وطوائفه، هذا القمع أدى أن يدافع المحتجون عن أنفسهم بعد عدّة شهور من صبر الشعب على القتل، ولكن هذا الأمر زاد النظام بطشا بالشعب رغم نداءات جامعة الدول العربية للنظام بالتعقل بالتعامل مع هذه الاحتجاجات، كذلك لم تفلح بعثة جامعة الدول العربية لتقصي الحقائق في سوريا، ولا نداءات الأمم المتحدة ولا نداءات المنظمات الحقوقية بتغيير سلوك النظام القمعي تجاه شعبه، بل أن النظام اتهم المحتجون بأنهم عملاء للخارج ينفذون أجندة غربية لإسقاط نظام الممانعة والمقاومة وأنهم مدعومون من إسرائيل بل وكذلك من بعض الدول العربية.

إن ما يجري في سوريا يهم ليس فقط السوريين، بل يهم المنطقة والعالم، فسوريا دولة مركزية في العالم العربي والشرق الأوسط، ولها وزن في السياسة الدولية. ولم يكن غريباً لذلك أن تتباين التقييمات حول معنى وخلفية هذه الاحتجاجات حيث نجد أن الشعوب بحسبها الفطري قد أيدت هذه الثورة وكثير من دول العالم كذلك أيدتها، أما الدول التي تدعم النظام وعلى رأسها إيران وحلفائها، فلم ينظروا لهذه الثورة على أنها محاولة للخلاص من الظلم والاستبداد، بل نظروا إليها بأنها مؤامرة، تريد إسقاط نظام الممانعة والمقاومة لصالح إسرائيل وحلفائها من "الرجعية العربية" كما يدعون. ولم يكن موقف إيران وحلفائها بعيداً عن النفس الطائفي، حيث نجد أن أغلب مؤيدي النظام السوري هم من نفس طائفته تقريباً. أما بالنسبة لموقف روسيا الداعم للنظام السوري التي خسرت سابقاً نفوذها في ليبيا والعراق من قبله، لذلك كان موقفها باتجاه الثورة السورية موقفاً سلبياً كونها على علاقة وثيقة بالنظام السوري سياسياً

واققتصاديا، بل أن لها قاعدة عسكرية في طرطوس على الساحل السوري. حتى أن الغرب ذاته وإن ادعى انه يؤيد سعي الشعب السوري إلى الحرية إلا انه كان يريد فقط إضعاف قوّة الدولة السورية ونزع أسلحتها التي من الممكن أن تصل لإسرائيل مثل الأسلحة الكيماوية، ولا يريدون إسقاط هذا النظام، وذلك خوفا من أن يأتي نظاما آخر بديلا له يعادي إسرائيل حقا.

إن موقف دول المنطقة والإقليم والقوى العالمية سيكون لها تأثير حاسم في مسار الثورة السورية وأحداثها سواء أكان مؤيدا للثورة السورية أما مؤيدا للنظام، عبر التدخل المباشر أو غير المباشر. ومهما كان رأي النظام السوري والدول العربية ودول المنطقة ودول العالم بهذه الثورة، فإن الشعب السوري عاقد العزم على أن لا يرجع مرة أخرى قبل أسقاط هذا النظام، ولن يكون من السهل السيطرة على هذه الثورة، فقد كسر حاجز الخوف لديهم.

## المبحث الأول: القوى العالمية الفاعلة في الثورة السورية

هذا المبحث سيشمل أهم القوى الدولية والتي تدخلت بشكل ما في الثورة السورية وكيفية هذا التدخل وما نتج عنه. إن القوى الدولية تبحث عن مصالحها وتصدد على أرض الآخرين مع قوى دولية أخرى، وربما نتج عن هذا الاصطدام كثير من الدماء البريئة كما حصل مع الشعب السوري. هذا المبحث يشمل الولايات المتحدة والغرب، وروسيا، والصين، والأمم المتحدة.

١- الولايات المتحدة والغرب : لقد كشف الربيع العربي أن الولايات المتحدة لم تعد الدولة العظمى والتي تتحكم بالكثير من الأحداث السياسية في العالم، والربيع العربي دليل على ذلك، حيث أن فور انطلاقه شعرت الولايات المتحدة بالارتباك والتشويش، لكنها سرعان ما حاولت أن تكون انطبعا عما يجري في المنطقة، وتتصرف بناء على هذا الأساس، ومع أن ثورة سوريا إحدى حلقات الربيع العربي إلا أن لها خصوصية عما جرى في كل من مصر وتونس وليبيا حيث تاريخيا تدعي الولايات المتحدة أن جزءا من سياستها ونظامها الأخلاقي هو دعم حرية الشعوب في مطالبتهم بالعدل والمساواة والديمقراطية، وعليه فقد أيدت (نظريا) الولايات المتحدة الثورة السورية، بل أن اوباما ذاته في مقابله معه على قناة (CNN) صرّح أن الأسد قد فقد شرعيته<sup>٥</sup> وهو كذلك نفس ما كان يطالب به بعض أركان الإدارة الأمريكية بوجوب رحيل الأسد عن الحكم. ثم ما لبثت هذه المطالب أن وصلت إلى منع استخدام الأسلحة الكيماوية ضد الشعب، وليس إسقاط النظام، مما يعطي إشارة للنظام أنه بإمكانه استخدام اي سلاح آخر لقتل شعبه...البراميل الطائرة المتفجرة مثلا! وهذا يدل أن الولايات المتحدة ليس لديها أي خطة لقمع النظام وردعه عن قتل شعبه وهذا ما أعلنه الجنرال (مارتن ديمبسي) حيث قال في السنة الثالثة للثورة: (إن أي تدخل عسكري أمريكي في سوريا لن يكون في

مصلحة الولايات المتحدة)<sup>٦</sup>

<sup>٥</sup> تطورات الموقف الأمريكي في الثورة السورية، معهد الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

<http://www.dohainstitute.org/release/dbc39132-41bd-48c1-852c-3d2e394e5c4b>

<sup>٦</sup><http://www.albawaba.com/ar/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1/%D8%AF%D9%85%D8%A8%D8%B3%D9%8A-%D8%A3%D9%8A-%D8%AA%D8%AF%D8%AE%D9%84-%D8%B9%D8%B3%D9%83%D8%B1%D9%8A-%D8%A3%D9%85%D8%B1%D9%8A%D9%83%D9%8A-%D9%81%D9%8A-%D8%B3%D9%88%D8%B1%D9%8A%D8%A7-%D9%84%D9%86-%D9%8A%D9%83%D9%88%D9%86-%D9%84%D9%85%D8%B5%D9%84%D8%AD%D8%AA%D9%86%D8%A7->



إن ارتباك الولايات المتحدة في ملف الثورة السورية واضح للعيان، حيث طالبت في أول الأمر إلى وقف العنف والاستجابة إلى مطالب المحتجين، ثم تم الانتقال لفرض عقوبات مالية واقتصادية على الأسد وبعض أركان حكمه، والجميع يعلم أن هذه العقوبات عبارة عن عقوبات شكلية ولا تأثير حقيقي لها. يبدو أن الولايات المتحدة تميل لكثير من الأسباب لعدم التدخل العسكري في الملف السوري ويبدو أن التجربة الأفغانية والعراقية، حيث تدخلت في هاتين الدولتين عسكريا وخسرت فيهما الكثير وعمت الفوضى وانتشرت الجماعات المتطرفة. حيث يعني إسقاط النظام السوري حالة من الفراغ السياسي والأمني الذي قد يملأه المتطرفون الإسلاميون، وهو ما يضر بمصالح الولايات المتحدة في المنطقة ويضر تماما بحليفاتها إسرائيل. تعتقد الولايات المتحدة أن تكرار تجربة إسقاط نظام القذافي وعدم قدرة الليبيين ومن وقفوا ضد نظام القذافي عسكريا على إيجاد نظام جديد يستطيع أن يحكم ليبيا ويقضي على أي حرب أهلية ويتحكم بالحدود، قد ينطبق على الحالة السورية أيضا، بل أن الحالة السورية أكثر تعقيدا على المستوى الطائفي والاثني ومن ناحية حساسية موقعها.

إن للولايات المتحدة مصالح محددة في الشرق الأوسط تعتبر من مصالحها العليا وهي التزامها بأمن إسرائيل وديمومة وجودها، كذلك تأمين المعابر المائية والمضائق لاستمرار نقل النفط والغاز بسلاسة وبأسعار مناسبة كذلك يهتمها بدرجة أقل الوصول لتفاهم ما مع إيران ومكافحة ما تسميه الإرهاب.

من السهل إدراك أن الولايات المتحدة لن تقوم بدعم معارضة منقسمة على نفسها بلا قيادة ولا أهداف حقيقية واضحة تحوي متطرفين من وجهة النظر الأمريكية، كل هذه الأسباب تجعل المتطرفين الإسلاميين يسيطرون على جبهات القتال ضد بشار الأسد، وتقوى شوكتهم بينما في الطرف الآخر من يقاتل بشار الأسد من أجل قيام دولة ديمقراطية تعددية يصبحون أقلية ولا حيلة لهم، ولا يمكن الاعتماد عليهم، وبعد أن أوشتت الولايات المتحدة على قصف معاقل الأسد تراجعت عن ذلك بمجرد التفاهم مع النظام وروسيا وإيران على أن يتم نزع الأسلحة الكيماوية التي يمتلكها نظام الأسد، والتي تشكل خطر حقيقي على إسرائيل، وأصبحت الولايات المتحدة مجرد متفرج هي والغرب على المجازر التي يقوم بها النظام السوري بحق شعبه مستخدما كل الأسلحة بما يصل إلى "الإبادة الجماعية". إن هذا المشهد الدموي في استنزاف لقوى النظام السوري وقوى المعارضة المعتدلة والمتطرفة واستنزاف لموارد الخليج واستنزاف لموارد وقوى

إيران فيما تبقى الولايات المتحدة والغرب بعيدين عن التدخل الحقيقي لنصرة الشعب السوري امتثالا للقيم التي طالما تشدقت بها.

في ظل هذا الواقع السوري، حيث لا يلوح في الأفق انتصار لأي طرف على الآخر، تبدو الحاجة متزايدة لتسوية إقليمية يتم التوافق عليها بين الولايات المتحدة والغرب وإيران وروسيا وتركيا والخليج، ويرضى بها الشعب السوري لمحاولة إنقاذ الدولة السورية من الانهيار ضمن معادلة يخرج بها بشار الأسد وزمرته ومن تلطخت يديه بدم الشعب السوري من الحكم مع المحافظة على عدم حدوث عمليات انتقامية واسعة تهدد وجود الأقليات، وعدم إجبار هذه الأقليات وبالذات العلويين على الرحيل من المناطق ذات الأغلبية السنية، إن ما تقدمه الولايات المتحدة لفصائل الجيش السوري الحر التي تعرف جيدا أنه لا يضم أفرادا متطرفين لا يعتبر دعما حقيقيا ولا يمكن بأي حال أن يغير الموازين أو حتى يعادلها مع نظام يمتلك ترسانة عسكرية هائلة مدعوما بمليشيات من العراق ولبنان ومدعوما تماما عسكريا وماديا وسياسيا من إيران، وكذلك بغطاء سياسي روسي. إن الغرب سيبقى صامتا على ما يجري في سوريا طالما أن الأمر يتم بعيدا عن مصالحه.

٢-روسيا: رغم دخول الثورة السورية عامها الخامس وسقوط مئات الآلاف من القتلى وملايين اللاجئين والنازحين، ومئات آلاف المعاقين على يد النظام السوري وحلفائه من ميليشيات إيرانية وعراقية ولبنانية، كل هذا لم يجعل روسيا تعيد النظر بموقفها الداعم للنظام السوري.

إن روسيا لا تملك تصورا حقيقيا لمبادرة متماسكة حقيقية واضحة لحل الأزمة السورية، بل أن كل ماتملكه روسيا هو تصورات جانبية ومؤقتة لن يستطيع أن ينهي هذه المذبحة في سوريا وقد يرجع ذلك إلى أن روسيا غير معنية تماما -على الأقل في ظل أن نظام الأسد هو الأقوى على الجبهة- بإنهاء هذه الأزمة، بل أن روسيا تحاول في كثير من مبادراتها ولقائها مع المعارضة السورية مثل لقاءاتها مع معاذ الخطيب رئيس الائتلاف السوري السابق، حيث كان كل هذه اللقاءات يسودها الارتباك وعدم وضع خطة محددة وعمامة ولا تخرج عن اللقاءات السابقة مع المعارضة السورية، بل أن كل ما تسعى إليه أن تفتت هذه المعارضة وهي تعلم تماما أن الغرب لا يدعم بشكل حقيقي هذه

المعارضة، وتحاول روسيا جر المعارضة وهي بحال ضعيف ومفتت إلى طاولة المفاوضات مع النظام للوصول لحل لا يرضي إلا هذا النظام وحلفائه.

إن لروسيا مصالح قوية مع النظام السوري حيث تعتبر سوريا من المستوردين الأساسيين للسلاح الروسي وكذلك هناك قاعدة بحرية عسكرية لروسيا في مدينة طرطوس الساحلية، وتعتبر نافذة روسيا على البحر المتوسط ولاسيما بعد أن خسرت حليفها القذافي. وكل من الدولتين تعتقدان أنهما تكافحان التطرف الإسلامي هذا التطرف التي تخشى روسيا ان يصل إليها ولاسيما في القوقاز حيث الأغلبية المسلمة والتي يطالب بعض مناطقها بالانفصال مثل الشيشان، لذلك تعتبر روسيا نفسها في معركة واحدة مع النظام السوري والغرب فيما يسمى مكافحة الإرهاب. وتطرح روسيا كما النظام السوري أن الخطر الأكبر هو من التطرف الإسلامي الذي يهدد سوريا والمنطقة والعالم حسب ادعائهم. ولا يأتي الخطر من النظام السوري بل أن النظام السوري هو شريك أساسي بالنسبة لهم في مكافحة هذا الخطر. وليس أدل على دعمها للنظام من استخدامها الفيتو عدة مرات في الأمم المتحدة في كل محاولة لإنهاء الأزمة وإنقاذ الشعب السوري من المذبحة التي يعيشها.

تبدو روسيا أنها تحاول ان تبني في المنطقة تحالفا يضم كل من العراق وإيران والنظام السوري ولبنان عبر حزب الله والحوثيين في اليمن والمنتبع لهذا التحالف يرى أن روسيا تحاول بناء تحالف عبر الأقليات في العالم العربي والإسلامي ليكون رديفا لتحالف الولايات المتحدة والغرب مع كثير من الانظمة العربية والإسلامية في المنطقة.

إن احتلال روسيا لشبه جزيرة القرم الأوكرانية وكذلك تدخلها المباشر في الأزمة الأوكرانية وانخفاض أسعار النفط عالميا، جعل من استمرار دعمها للنظام السوري والذي بدت عليه علامات الضعف والإنهاك بشكل واضح، جعل من هذا الدعم مكلف على المستوى المادي والسياسي ولا سيما مع استمرار هذا النظام بالقتل والبطش بشعبه، وقد آن لروسيا أن تنظر لمصالحها الحقيقية المستقبلية مع سوريا وستبقى مع سوريا وليس مع نظام الأسد والذي تدرك روسيا أنه على وشك أن يزول في المدى القريب. وكذلك إن اقترب الناتو من حدودها الجنوبية والغربية أي في أوكرانيا والبلطيق

يجعل روسيا على استعداد لبحث فك تحالفها مع النظام السوري مقابل مصالحها الأقوى في دول الاتحاد السوفيتي السابق ضمن تسوية تضمن لها مصالحها في سوريا.<sup>٧</sup>

٣- الصين: من المعروف عن الصين انها دولة الورشة ودولة العمل المستمر والنشاط الذي لا يتوقف، هذا من الناحية الاقتصادية أما من الناحية السياسية فليس معروف عنها هذا النشاط خصوصا إذا كان الموضوع يتعلق بصراع بعيد عن حدودها وعن بحر الصين بشكل عام. للصين مصالح مع طرفي الأزمة سواء مع تركيا والخليج والشعوب العربية التي تساند الثورة السورية أو مع النظام السوري وإيران وروسيا التي تقف مع النظام. وهي لا تريد أن تخسر أحد الأطراف، ولطالما وقفت الصين على الحياد في القضية الفلسطينية كمحاولة منها كي لا تستعدي طرف أو تخسر أي دولة متذرة بأنها تلتزم بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول. وهي التي عانت من تدخل اليابان في شؤونها الداخلية واحتلالها جزءا من أراضيها (منشوريا)، والغرب كذلك تدخل سابقا في شؤونها.

إن استخدام الصين للفيتو قد غير المشهد الذي اعتدنا عليه عن الصين، وفاجأ الكثيرين، وربما تعود أسباب استخدام الصين للفيتو أنها تود أن تشعر المجتمع الدولي بأن الصين العملاق الاقتصادي بدأ يصبح كذلك عملاقا سياسيا له رأي حازم في قضايا العالم وأن عزلتها التي عاشت بها طويلا على المستوى السياسي قد انتهت، ويدعم هذا التوجه أن الصين قد بنت ترسانة عسكرية ضخمة، وإن كان دخولها على الخط السياسي للأزمة السورية لا يعني أنها ستزاحم بالضرورة الغرب والولايات المتحدة تحديدا وإن كانت قد أبدت عدم رضاها على إدارتهم ملفات مختلفة منها العراق وأفغانستان وليبيا، وبناء عليه خسرت الصين مصالح اقتصادية كبيرة وبعض الحلفاء.

تدرك الصين أن الولايات المتحدة تحاول إبعادها عن الوصول لمصادر الطاقة، هذه الطاقة التي تستهلك كميات كبيرة منها لاستمرار الصين كورشة عمل كبيرة، ولاستمرار اقتصادها في النمو ولاستمرار صناعتها بالازدهار، وربما يعود جزء من هذا التدخل في الشأن السوري محاولة منها للضغط على الدول الكبرى لتحسب حسابها على المستوى السياسي ولتؤمن مصالحها واستمرار تدفق النفط إليها دون تكلفة إضافية او معوقات. لقد تعودنا على الصين أن تحاول حل

إشكالاتها السياسية والاقتصادية من خلال الحوار والتفاوض والتعاون والمشاريع المشتركة، وهي غير معنية في هذه الفترة بالاصطدام بالولايات المتحدة أو الغرب.

تعرف الصين أن سوريا وإن كانت سوقا لها لكنها ليست سوقا كبيرة أو سوقا غنية وأن مصالحها في سوريا محدودة على المستوى الاقتصادي ولا مصالح حقيقية لها في سوريا على المستوى العسكري أو السياسي.

إن تدخل الصين وروسيا واستخدامهما الفيتو لصالح النظام السوري قد يرجع في جزء منه لوجود أقلية مسلمة في الصين تتركز في منطقة تركستان الشرقية والتي طالما جاهر بعض سياسيينها من المعارضين بمطالبتهم بالانفصال عن الصين وتأسيسهم دولة مستقلة. إن الصين تخشى من ان يمتد نفوذ المتطرفين الإسلاميين بعد إسقاط النظام السوري إلى أراضيها دعما للانفصاليين، لذلك هي تؤيد وإن كان على المستوى السياسي فقط وبعض الدعم اللوجستي، النظام السوري.

إن توجه الصين الجديد على المستوى السياسي يلخصه ما نشرته صحيفة صينية، حيث قالت: "على العالم أن يتعود على سماع الصين تتحدث فيما يتعلق بالصراعات الدولية مثل ذلك الدائر في سوريا".<sup>٨</sup>

٤- الأمم المتحدة: إن الشعب السوري يدفع ثمن ضعف النظام الدولي، والأمم المتحدة تحديدا، هذه المنظمة التي لم تعد قادرة على التماسي ومواكبة القرن الواحد والعشرين بما فيه من متغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية حيث ان نظام الفيتو للخمس دول دائمة العضوية في الغالب يعطل اتخاذ قرارات لصالح كثير من الشعوب. حيث ان الامم المتحدة لا تقوم على أساس أخلاقي متين، بل أن القوة هي المعيار الأوحده في تسيير هذه المنظمة. لقد ظن البعض ان بإمكان الامم المتحدة أن تخرج بمبادرة يتم الاتفاق عليها بين الدول الكبرى باعتبار الأمم المتحدة الجهة المكلفة بحفظ الأمن والسلام العالمي.

لقد حاولت الامم المتحدة أن تتدخل بشكل ما وإن بدا ضعيف في الازمة السورية من خلال تكليف الأمين العام السابق للأمم المتحدة كوفي أنان في بداية (٢٠١٢) بصفته مبعوثا امميا وعربيا، وقدم مبادرته التي تقوم على وقف العنف وعلى وجوب إدخال المساعدات الإنسانية إلى المناطق التي تحتاجها، وتقديم مبادرة سياسية التي كانت أساس مؤتمر

جنيف(١)، لكن هذه المبادرة باءت بالفشل وربما يعود سبب فشلها إلى عدم قدرة الأطراف المتحاربة في سوريا على التوافق على هذه المبادرة، كذلك انقسام المجتمع الدولي وبالذات في مجلس الامن ولا سيما الانقسام الحاصل بين الولايات المتحدة وروسيا. ولم يتم التوافق بين هذه الدول الكبرى إلا فيما يخص موضوع الأسلحة الكيماوية السورية، حيث صدر في هذا الشأن قرار من مجلس الأمن في (٢٠١٣) بوجود التخلص من الأسلحة الكيماوية التي يتسلح بها النظام السوري. ولولا أن قام النظام باستخدام هذه الأسلحة على نطاق كبير في منطقة الغوطة القريبة من دمشق والتي قتل فيها المئات، لم يكن ليتم هذا التوافق بين الدول على القرار.

إن مؤتمر جنيف(٢) وإن كان حضره ممثلون عن المعارضة والنظام السوري ولكنه لم يفضي إلى شيء حقيقي، كذلك لم تستطيع الأمم المتحدة أن ترسل قوات لحفظ السلام لتفصل بين المتحاربين في سوريا كما يحصل في بلدان كثيرة في العالم التي تسودها النزاعات ويعود ذلك إلى أنه يجب أن توافق الأطراف المتصارعة على قبول هذه القوات وكذلك وقف القتال، وهذا الأمر يحتاج إلى أن يكون هناك الحد الأدنى من التوافق السياسي سواء على صعيد الأطراف المتناحرة أو على الصعيد الإقليمي والدولي.

لقد تم التوافق بعد فشل مهمة (كوفي أنان) على الدبلوماسية الجزائرية العربي المخضرم (الأخضر الإبراهيمي) لما يحظى به من احترام دولي وخبرة واسعة في مجال النزاعات، تجعله مؤهلاً لأن يكون مبعوثاً للأمم المتحدة وربما كونه عربي يجعله أقرب إلى أجواء الأزمة السورية، ورغم أنه قال في بداية تكليفه عن هذه المهمة بأنها: "شبه مستحيلة"، وحاول أن يكون واقعيًا على الأقل من وجهة نظره، حيث لم يطالب الأسد أن يتنحى عن الرئاسة، كما فعل كوفي أنان، لكنه حاول أن يبني نوعاً من التسويات يوافق عليها الأطراف، لكن الحقيقة أنه لم يستطع أن ينجز الكثير في مهمته وعليه استقال في منتصف عام (٢٠١٤)، ونتيجة شعوره بالمرارة والخيبة نتيجة فشله، قدّم اعتذاره للشعب السوري.

ليس من مهمات الأمم المتحدة أن تشعر بالعجز والفشل وأن تترك الشعوب المسحوقة مثل الشعب السوري في هذه الأزمة، لذلك نجد أن الأمم المتحدة حاولت أن تتحرك رغم شكوك الكثيرين حول العالم بقدرتها على الإنجاز في الملف السوري في ظل الانقسام الدولي والإقليمي والداخلي في سوريا، ولكنها مع ذلك كلفت الدبلوماسية الدولي (ستييفان ديمستورا).

رغم ان الضحايا في سوريا يقدرها بمئات الالاف والمهجرين بالملايين، وكذلك تم تهديم البنى التحتية للدولة السورية، ومع ذلك لم يستطع ديمستورا أن يقدم مبادرة شاملة للتوافق عليها وظل يركز دائماً على نقطة واحدة هي وقف شامل للقتال من كل الأطراف في مدينة حلب وكله أمل أنه إذا نجح هذا الوقف في حلب ممكن تعميم هذه التجربة في المدن السورية الأخرى. لكن المعارضة لم توافق عليها رغم موافقة النظام السوري بحجة أنه ليس هناك مبادرة شاملة لإنهاء هذا النزاع وأن كل مافي الأمر هو إعطاء استراحة للنظام السوري لتجميع قواته ليوجهها حيث يريد فيما بعد. وما زال ديمستورا يحاول أن يجمع المعارضة والنظام في مؤتمر شامل يضم بالإضافة للأطراف المتصارعة القوى الإقليمية والدولية، ولكن المعارضة السورية أخيراً رفضت بشكل مبدئي حضور هذا المؤتمر لأن إيران مدعوة له، وهي التي ساندت النظام السوري على قتل شعبه وتهديم مدنه. كل ذلك كان بدافع طائفي ولم تنظر للجانب الإنساني وحق الشعوب أن تنال حريتها.

في هذه الاجواء والافتتال، دخلت الازمة السورية عامها الخامس، وكل يوم تزداد معاناة الشعب، وتزداد احتياجات اللاجئين الإنسانية، لهذا صرحت المبعوثة الخاصة لمفوضية اللاجئين، انها ونتيجة هذه الأوضاع تشعر بالخجل<sup>9</sup> وكذلك صرح بعض مسؤولي الأمم المتحدة، أنه مع بداية السنة الخامسة للنزاع، يكون قد قتل فيه حوالي(٢٠٠) ألف شخص، وأن العنف والحرمان واليأس أصبحت ثقافة سائدة عند الأطفال السوريين، وأن(١٢) مليون سوري، بأمس الحاجة للمساعدات الإنسانية لإنقاذ حياتهم.<sup>١٠</sup>

إن الامم المتحدة والنظام الدولي أصبحوا امثولة للعجز عن إنقاذ الإنسانية، أو على الأقل مساعدة اللاجئين والمرضى والأطفال بشكل حقيقي في هذا النزاع، وإن كل ما تقدمه الامم المتحدة لا يشكل مساعدة حقيقية، بل أصبحت الامم المتحدة أشبه بمرجع لتوثيق لحظة تاريخية يسودها العجز الإنساني والبشاعة الإجرام.

<sup>9</sup>أنظر مركز أنباء الأمم المتحدة.  
<sup>10</sup>أنظر المرجع السابق.

## المبحث الثاني: القوى الإقليمية الفاعلة في الثورة السورية

في هذا المبحث سيتم استعراض القوى الإقليمية الفاعلة والتي لها مصالح في الثورة السورية مثل إيران الحليف القوي الطائفي للنظام السوري، وسيتم عرض كيف تساعد إيران النظام السوري في محاول لإبقائه صامدا، وكذلك سيتم استعراض تركيا وكيف ان الثورة السورية تؤثر عليها بشكل مباشر كونها جارة لسوريا وما مصالحها في هذا التدخل وإلى اي طرف تنحاز. اما بالنسبة لإسرائيل فهي العدو الذي يراقب عن كثب ويدرس كل الاحتمالات لبحث عن مصالحه ولو كان من مصلحته إبقاء النظام السوري الذي يقتل شعبه لتظل هي بحيرة الديمقراطية والسلام كما تدعي.

١-إيران: استبشر الكثيرون عند انتصار الثورة الإيرانية(١٩٧٩) أنها ستكون ثورة تنصر المظلومين في المنطقة وستنهي حالة الاستعلاء التي مارسها الشاه على العالم العربي، وأنها ستكون بداية للتواصل بين الشعوب الإسلامية وإنهاء للهيمنة الغربية، ولا سيما أنه كان من شعاراتها التي أطلقتها أنها ثورة المستضعفين في الأرض، لكن ما لبثت هذه الثورة عندما استتب الحكم لنظام الخميني أن صمتت على قتل حوالي (٥٠) محتجا سوريا عندما تظاهر الكثيرون في شمال سوريا على قمع النظام السوري سنة(١٩٨٠) ومما أكد للقاصي والداني أن نظام الخميني في إيران لا يختلف كثيرا عن نظام الشاه، حيث سادته حالة من الارتباك والصمت حينما قامت الاحتجاجات والمذابح في مدينة حماة، حيث قتل على أقل تقدير (١٠ آلاف) مواطن سوري على يد قوى الأمن والجيش السوري، إن النظام الإيراني بسلوكه هذا أثبت للجميع أن كل شعاراته عن نصرة المظلومين والمستضعفين ونصرة الحق والحرية، هي مجرد شعارات، لقد تخلى النظام الإيراني عن هؤلاء المستضعفين والثورة الإيرانية في اوج ثوتها واندفاعها. كل ذلك لأن النظام السوري هو حليف النظام الإيراني وربما من ذلك الوقت بدأ يتشكل حلف طائفي بين النظام الإيراني الشيعي والنظام السوري العلوي.ويؤكد ذلك تخلي النظام السوري البعثي والذي ينادي بالوحدة العربية عن العراق الذي كان يحكمه حزب البعث أيضا ليقف في صف إيران بالحرب بين العراق وإيران.



لقد أيدت إيران ثورات الربيع العربي ولا سيما في مصر وتونس، وذلك يعود إلى ان هذه الأنظمة كانت على غير توافق سياسي معها، وأنها أنظمة طالما قالت عنها إيران أنها متحالفة مع الغرب، بل أن بعض المنظرين للثورة الإيرانية ادعى أن الربيع العربي ما هو إلا امتداداً للثورة الإيرانية ولكن حينما قامت الاحتجاجات واشتعلت الثورة في سوريا ضد نظام الأسد المستبد، وقفت إيران إلى جانب نظام الأسد مدعيةً أن هؤلاء المحتجين هم عملاء للغرب وإسرائيل وينفذون اجندته في محاولة لإسقاط نظام الممانعة والمقاومة، وأن لا علاقة لهؤلاء المحتجين بالمطالبة الحقيقية بالحرية والعدالة وأنهم مجرد عابثين ومخربين. بل أن الأمر زاد عن ذلك حينما ادعى النظام الإيراني حين ادعى ان المحتجين الذين انطلقوا في طهران ومدن إيرانية اخرى للمطالبة بالحرية والانفتاح ماهم إلا عملاء أيضا للغرب ويجب قمعهم.

في بداية التحالف بين النظام الإيراني والسوري لم يكن بعده الطائفي واضحا بشكل كبير، حيث أن النظامين في البلدين مختلفين تماما، ففي إيران نظام إسلامي شيعي وفي سوريا حاول النظام تقديم نفسه على انه نظام عروبي علماني. ولكن العلويين عندما أحكموا سيطرتهم على إدارات الدولة في سوريا وقمعوا الشعب السوري عرفوا ان لا نصير لهم من شعبهم ولا من جيرانهم العرب لذا اتجهوا إلى إيران التي تتشابه معهم طائفيا بشكل نسبي، ولم يكن غريبا أن توافق إيران على هذا التحالف وتسعى إليه حيث انها كانت تريد بناء شبكة من التحالفات في المنطقة لتصدير ثورتها، لذلك كان من الطبيعي أن تمتد إيران النظام السوري في بداية الثورة السورية بالمستشاريين والخبراء وأن ينتشر الحرس الثوري الإيراني على كامل رقعة الأرض السورية، ثم يلحق بهم مقاتلين من فيلق القدس ليقاتلوا الشعب السوري على أرضه محاولين وأد ثورته، فكما قال ميكافلي: "إن سلاح الغير إما يسقط عن كتفيك أو يثقل كاهلك أو يشل حركتك"<sup>١١</sup>. هذا عدا عن الدعم المادي الذي وصل إلى أرقام فلكية حتى في بداية الثورة، وهذا ما اكده وزير سوري عندما صرح ان إيران ساعدت النظام السوري بما يزيد عن (١٥ مليار) دولار.<sup>١٢</sup>

مع استمرار الثورة واشتعالها في سوريا لم يزد النظام الإيراني إلا تدخلا في الشأن السوري وزاد الأمر عن الدعم اللوجستي والخبراء والمستشاريين والدعم المادي والمقاتلين من الحرس الثوري، بأن أمرت إيران حلفائها من ميلشيات تأتمر بأمرها

<sup>١١</sup> نيكولو ميكافلي (ترجمة عبد القادر الجموسي)، كتاب الأمير، ص ٩٨.  
<sup>١٢</sup> الدعم الإيراني للنظام السوري في أزمة سورية، ويكيبيديا.

وعلى رأسهم (حزب الله) وميليشيات عراقية بالتدخل بشكل مباشر على الأرض السورية، حينما رأت أن النظام السوري بدأ يتداعى وقدرته على الوقوف في وجه الثوار بدأت تضعف وأن سقوطه بدأ يلوح في الأفق، لذلك لا تستطيع إيران أن تتحمل خسارة سوريا من بين حلفائها حيث أن سوريا حلقة مهمة فهي نافذة إيران على البحر المتوسط وكذلك حلقة وسيطة لمد حزب الله بما يحتاجه من سلاح، كذلك ممكن لإيران استخدام سوريا المجاورة لإسرائيل كورقة ضغط على القوى الدولية لإتمام مشروعها النووي ومشاريعها التوسعية في المنطقة. كما ان سوريا مجاورة للعراق الذي هيمنت عليه إيران بشكل كامل. هذا التحالف الطائفي الذي يمتد من طهران إلى متوسط هو كتلة واحدة وضياح أي حلقة فيه يؤدي إلى انهيار هذه المنظومة بأكملها. وكذلك حاولت إيران أن تمد مشروعها الطائفي حينما اعتقدت أنها قد سيطرت على سوريا لتنتقل إلى دعم الحوثيين في اليمن في محاولة منها للسيطرة على مضيق باب المندب حيث تمر معظم الصادرات النفطية من الخليج إلى العالم وبذلك تكون انتقلت من مشروع الدولة إلى الإمبراطورية في حال اتمت سيطرتها على اليمن أيضا. لكن (عاصفة الحزم) التي أطلقتها المملكة العربية السعودية بتحالف عربي واسع قد بدأت تجهض هذا المشروع.

هناك تباين واضح في تحليل تشبث إيران بالنظام السوري رغم خسارته الشديدة وانهائه، وإنهاء النظام الإيراني كذلك، حيث ينطلق البعض في تحليله بأن إيران تنظر لسوريا من وجهة نظر عقائدية طائفية وأنها لا يمكن أن تتخلى عن النظام السوري بل أنها ترى أن الانغماس الإيراني في مقاومة الثورة السورية هو واجب ديني مقدس لا تراجع عنه. والدليل على ذلك ما يصرح به رجل الدين الإيراني (آية الله جنتي) في جامعة طهران: " على الشيعة العرب أن يبادروا لدخول سوريا والجهاد إلى جوار النظام السوري حتى لا تقع سوريا بيد أعداء آل البيت"<sup>١٣</sup>

وهناك وجهة نظر أخرى ترى أن النظام الإيراني يستخدم سوريا فقط لتحقيق أهدافه في المنطقة وما أن يحققها حتى يفاوض على النظام السورية ورأس بشار الأسد ذاته.

إن (عاصفة الحزم) وما تلاها من (إعادة الامل) تشير إلى أن العالم العربي بدأ ينتقل من الخمول ومن ردة الفعل إلى الفعل، ولا سيما بعدما رأت الدول العربية أن الولايات المتحدة والغرب بدأت تجمعهم مع إيران قواسم مشتركة على حساب العالم العربي، لذلك بدأ العالم العربي يتصدى للنفوذ الإيراني في المنطقة وعلى رأس اهتماماته اليمن وسوريا، لذلك لم يكن غريباً أن يصرح الصحفي المعروف المهتم بشؤون المنطقة (باتريك سيل): "بدأ الحراك الاستراتيجي العربي المعاصر بالصراع على سوريا"<sup>٤</sup>

٢- تركيا: لطالما نظر العالم العربي إلى تركيا باعتبارها ممثلة للسلطة في الدولة العثمانية، ومارافق هذه الامبراطورية وبالذات في اواخر عهدها من ظلم وقهر وتخلف مارستها على الشعوب المنضوية تحت لوائها وبالذات الشعوب العربية، ولكن يبدو أن حزب العدالة والتنمية، ومنذ وصوله إلى سدة الحكم إلى تركيا منذ أكثر من عقد، وهو يحاول اعطاء تصور عن نفسه للعالم العربي بأن تركيا في ظل حكمه تختلف عن تركيا السابقة، وحاول التقرب إلى العالم العربي باعتبار أن حزب العدالة والتنمية يمتلك جذورا اسلامية وهذا يتيح لتركيا أن تتحرك بشكل سلس في العالم الإسلامي. منذ بداية الثورة السورية نجد أن تركيا قد اصطفت إلى جانب الشعب السوري في ثورته وحاول وزير الخارجية التركي آنذاك (داوود أوغلو) أن يقنع الأسد بأن يتعامل بمنطقية ومرونة مع مطالب المحتجين وذلك عبر زيارات متكررة إلى دمشق. ولكن الأسد ظل يطلق الوعود ويماطل في اعتقاد منه أن آتته العسكرية والقمع ستقضي على الاحتجاجات وينتهي الأمر، فما كان من تركيا إلا أن حاولت ان تزيد الضغط على النظام السوري دون أن تقطع "شعرة معاوية" معه عبر الضغط الاقتصادي والسياسي ولكن كل ذلك لم يجدي نفعا مع النظام السوري، وعليه كان لابد لتركيا أن تنتقل للدعم المباشر للمعارضة السورية بالتشاور مع الدول العربية. إن تركيا التي تمتد حدودها مع سوريا مئات الكيلومترات، فتحت حدودها للمعارضة السورية وأمدتها هذه المعارضة بالخبرة العسكرية واللوجستية والسياسية والدعم الإعلامي والإنساني. حيث استقبلت منذ بداية الثورة إلى بداية السنة الخامسة حوالي المليون لاجئ سوري فروا بحياتهم من آلة القتل والقمع للنظام السوري.

رغم ان تركيا لها اهدافها الإنسانية والإسلامية بدعم الشعب السوري في ثورته وإيواء اللاجئين إلا ان الأمر يتعدى ذلك إلى أن تركيا لا تستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي امام دولة تنهار بالقرب منها، مخلفة الفوضى والدمار والقتل. كذلك لا يمكن لتركيا أن تتجاوز موضوع أن الأكراد على جانبي الحدود بين تركيا وسوريا لهم تطلعات سياسية قد تصل إلى حد الاستقلال وهو ما يشكل خطرا مباشرا على أمن واستقرار تركيا السياسي والاجتماعي. ومن المعروف أن تركيا خاضت عبر عقود صراعا مريرا مع حزب العمال الكردستاني في تركيا الذي كان لا يخفي تطلعاته للاستقلال والانفصال عن تركيا. وإذا انتشرت الفوضى في سوريا فإن أكراد تركيا سوف يجدون ملاذا آمنا في سوريا للانطلاق بحرب العصابات التي يخوضونها ضد الدولة التركية، بل أن أكراد سوريا ربما يكونوا خير عون لهم في ذلك. وكذلك هناك ملف العلويين في تركيا حيث يؤيد هؤلاء بشكل او بآخر النظام السوري بصبغته العلوية وهذا يعقد المشهد أكثر على الساحة التركية، ويزيد من حدة تباعد مكونات الشعب التركي، وربما في اللحظة التي يشعر فيها النظام السوري بأن موقفه بدأ يضعف أمام الثورة ربما يستغل بعض هؤلاء لزعة الامن التركي. هذا عدا عن أن تركيا لا تستطيع أن تصمت عما يجري في سوريا حيث تعتبر سوريا بالنسبة لتركيا المنفذ الوحيد للعالم العربي إذا أخذنا في الاعتبار أن الدولة العراقية تمر بأوقات أمنية وعسكرية صعبة. إن أي زعزعة في سوريا يشكل خطرا على الاقتصاد التركي، حيث أن مليارات الدولارات تمر عبر سوريا لصالح التجارة البرية بين الدول العربية وتركيا، وهذا يتطلب دولة مستقرة وآمنة، كذلك لا تستطيع تركيا أن تصمت تماما وطويلا على التدخل الإيراني في الدولة السورية، حيث لا تستطيع دولة قوية ومركزية في المنطقة أن تقف مكتوفة الأيدي وهي ترى القوات الإيرانية على حدودها الجنوبية مسلحة بخطط طائفي وأسلحة فتاكة. لقد حاولت تركيا ان تعاون كافة اطراف المعارضة السورية، ولكنها فضلت الإخوان المسلمين بشكل نسبي، حيث يعتبرون كيانا منظما متماسكا له خبرة طويلة في مقارعة النظام السوري، ولهم جماهيرهم في الداخل السوري والخارج أيضا، كما أن الاخوان المسلمين جهة لا يمكن الاستغناء عنها في بحث سوريا مع بعد الأسد، بل وفي بحث كيف يمكن مقاومة الأسد، هذا عدا عن أن الاخوان المسلمين بالنسبة لتركيا يمثلون خطا إسلاميا معتدلا ويقبلون بالآخر ويقبلون بالدولة المدنية.

إن تركيا دولة برجماتية وعليه بعد أن قامت بأول سنوات الثورة السورية بالدعم الكبير لها، وللمعارضة يبدو أنها في لحظة ما قامت بمراجعة لسلوكها لعدة أسباب:

أن النظام السوري أقوى مما كانت تعتقد او على أقل تقدير أن حلفاء سوريا الإقليميين والدوليين سيدعمون هذا النظام إلى آخر لحظة. فيما حلفاء المعارضة السورية وأصدقاء الشعب السوري يبدون غير جادين تماما في الدعم الذي يمكن من خلاله أن تنتصر الثورة أو على أقل تقدير أن يجابهوا ترسانة النظام السوري، ويحدثوا نوعا من التوازن العسكري، لدفع النظام السوري للتفاوض لإيجاد صيغة يقبلها كل الأطراف لسوريا المستقبل.

إن المعارضة السورية منقسمة على نفسها، بل ومتناحرة ولم تفلح محاولات توحيدها معا، رغم الجهد الكبير الذي قامت به تركيا وغيرها، وذلك يعود إلى أن المعارضة منقسمة أيديولوجيا فمنها العلماني ومنها الإسلامي، ومنها المعتدل ومنها المتطرف، ومنها من ينسق مع هذه الدولة وتلك. لذا لا يمكن لتركيا أن تعتمد على هذه المعارضة بشكل أساسي. بعد عدة سنوات من استلام قطر لملف دعم المعارضة السورية، يبدو أن الامور لم تسير على مايرام ولم تنجز الكثير، لذا برزت السعودية وتدخلت في ملف المعارضة السورية، في محاولة منها لتوحيد هذه المعارضة والتنسيق بينها سواء على المستوى السياسي أو العسكري.

سقوط حكم الإخوان في مصر أدى إلى إعادة نظر تركيا بتحالفها مع حركة الإخوان المسلمين في سوريا والاعتماد عليهم إلى حد كبير، حيث يبدو أن الربيع العربي بحالة انتكاسة وربما إرجاع تونس لعلاقاتها الدبلوماسية مع النظام السوري بعد تنحي حركة النهضة ذات الجذور الإخوانية عن الحكم يدعم هذا التوجه. وكذلك تغيير خارطة التحالفات في المنطقة حيث لم تعد الولايات المتحدة في حالة عداء رسمي مع إيران بالذات بعد اتفاق الإطار لملف إيران النووي.

إن دعم تركيا ممثلة بحزب العدالة والتنمية للمعارضة السورية ولللاجئين السوريين يشكل ضغط على الاقتصاد التركي وعلى التوازن الاجتماعي والتوافقات السياسية حيث يوجد هناك اطياف غير راضين عن هذا الدعم، مثل الحزب الجمهوري المعارض، وهناك جماعة فتح الله كولن، وكذلك العلويين.

حزب العدالة والتنمية وصل للسلطة بدعم ناخبيه حيث قدم للمواطن التركي خدمات عالية وشفافية في الحكم، لذلك تم انتخابه وأي اخلال أو انتقاص مما قدمه الحزب لناخبيه سوف يتخلى عنه الناخبون وهو ملايريدده الحزب، لذا هو مهتم اولا وأخيرا بإرضاء الناخب التركي حتى وإن كان ذلك على حساب بعض برامجهم بالنسبة للمعارضة السورية.

عندما رأت تركيا أن أبواب الغرب شبه موصدة أمامها، اعتقدت ان أبواب الشرق ستكون مفتوحة على مصراعها أمام تركيا ذات الإرث العثماني السني، ولا سيما في ظل محاولة إيران للتوسع أكثر في المنطقة العربية. خصوصا بعد حادثة سفينة التركية (مرمرة) التي حاولت فك الحصار عن غزة والتي قتل بعض ركابها.

ومع ذلك تعرف تركيا ان النظام السوري لن يقف مكتوف الأيدي أمام مساعدة تركيا لمعارضيه حيث ان النظام السوري فتح كل أراضيها لاستقبال حزب العمال الكردي التركي، وقدم له كل الدعم اللوجستي والاستخباراتي ضد أنقره، وربما يعود فشل المحادثات التي كانت قائمة في النرويج بين الحكومة التركية وحزب العمال للوصول إلى حالة سلام بينهما، ربما يعود لهذا السبب.<sup>١٥</sup>

لتركيا طاقتها في استيعاب اللاجئين السوريين على أراضيها، لهذا صرحت تركيا بأن الأمر إذا زاد عن حده، وزادت أعداد اللاجئين عن قدرة الدولة التركية عن استيعابهم مما يشكل خطر على الدولة التركية سياسيا واجتماعيا واقتصاديا وأمنيا، فإن أنقرة سوف تقوم بفرض منطقة عازلة في حال انهيار النظام السوري وانتشرت الفوضى على أن تكون المنطقة العازلة داخل الأراضي السورية، وأنها ستقوم بالتدخل المباشر في سوريا بعد قرار دولي وبمشاركة إقليمية وعربية ودولية.

من الواضح أن المعارضة السورية سوف تخسر حليفها القوي والجار المباشر تركيا التي دعمت نضال الشعب السوري في ثورته في حال خسر حزب العدالة والتنمية الحكم، فليس كل الاحزاب التركية متفقة على دعم هذه الثورة. وبعضها يرى أن تفاهات ما مع النظام هي الأفضل لتركيا.

٣- إسرائيل: لقد اعتادت اسرائيل على أن ترى الشعوب والدول العربية في حالة خمول لذا اصابها الذهول والارتباك عندما قام الربيع العربي، فهي تعاملت مع بعض أنظمتها على أساس انهم كنز استراتيجي كما كان الحال مع نظام

<sup>١٥</sup> أنظر رانيا طاهر، الدور التركي في ظل ثورات الربيع العربي، مركز أمية للبحوث.

حسني مبارك، لكن الاحتجاجات التي قامت في سوريا ضد النظام السوري لم تكن تتوقعها إسرائيل لذلك حاولت أن تراقب عن كثب هذه الاحتجاجات وتحللها وذلك لأن سوريا دولة تختلف عن كل دول الربيع العربي حيث تعتبر دولة قوية في المنطقة ولم تعقد مع إسرائيل السلام، عدا عن التداخل الديموغرافي بين الشعب السوري والفلسطيني وأي خلل على الجبهة السورية قد يهدد أمن إسرائيل، هذا عدا عن ان اسرائيل مازالت تحتل الجولان السوري، وربما سوريا الخطر الأكبر على إسرائيل ليس بذاتها فقط بل بتحالفاتها الإقليمية سواء مع إيران أو حزب الله الذين يعلنون العداء لإسرائيل وأي تطور في هذه الاحتجاجات قد يهدد بالإخلال بهذا السلام الهش أو بهذه الهدنة الطويلة الهشة بينهما.

رغم ان إسرائيل كان تراقب بحذر ما يجري على الساحة السورية الا انه كان مصلحتها أن ينجمس الجيش السوري أكثر فأكثر بمواجهة مباشرة مع الشعب السوري، حيث تستنزف قدراته ويستهلك. عدا على أن الشعب السوري سينظر للجيش السوري كعدو وليس كدرع للوطن يحميه من أي اعتداء خارجي، كل ذلك دون أن تخسر إسرائيل رصاصة او قطرة دم. إسرائيل تعلم أنها غير معنية بإسقاط نظام الأسد وأنه ليس في مصلحتها ذلك حيث أن بين إسرائيل والنظام السوري تفاهم غير معلن منذ عقود، يقوم على أن إسرائيل لن تهدد بإسقاط النظام السوري عبر عملية عسكرية أو تحريضية من الدول الغربية ولكن في المقابل على النظام السوري ألا يشكل خطر حقيقي على إسرائيل وكل ما يجري داخل الساحة السورية من حكم طائفي دكتاتوري ومن إراقة الدماء وبطش بحقوق الإنسان في سوريا لا يهم إسرائيل طالما أن حدودها وأمنها مصانة.

تعرف إسرائيل أن ما يجري في سوريا يحتمل عدة سيناريوها وكل سيناريو له مساوئ وحسنات بالنسبة لإسرائيل وعلى سبيل المثال إن إسقاط نظام الأسد من قبل المعارضة سوف يبعد إيران عن حدود إسرائيل نتيجة التحالف الوثيق بين النظام السوري وإسرائيل حيث تشكل إيران خطرا وجوديا عليها حسب ما تعتقد.

كذلك إن إسقاط النظام السوري يعني قطع إمدادات حزب الله من الأسلحة والذخائر، ويحرم حزب الله من عمق استراتيجي في سوريا، حيث تأتي الأسلحة من إيران عبر العراق إلى سوريا ثم إلى حزب الله. مما يعني تآكل قدرات حزب الله القتالية مع الزمن، لذلك تقوم إسرائيل بكل ما تستطيع من مراقبة للنظام السوري خوفا من ادخال اسلحه بحوزته إلى حزب الله، ولاسيما الكيماوية منها، لذلك قامت إسرائيل عدة مرات بقصف قوافل تحاول نقل أنواع من الأسلحة

المختلفة. وهذا مايفسر أن إسرائيل لم تعترض على بقاء نظام الأسد عندما تم تجريده من أسلحته الكيماوية بعد استخدامها ضد مواطنيه في غوطة دمشق.

من ناحية أخرى إن سقوط نظام الأسد وانتشار الفوضى وسيطرة جماعات اسلامية متطرفة على مساحات كبيرة من سوريا وبالذات المناطق المتاخمة لإسرائيل، يعني خطرا حقيقيا على إسرائيل ولا سيما إذا سقطت اسلحة نوعية بيد هذه الجماعات وتعلم إسرائيل ان هذه الجماعات المتفرقة والتي من الصعب التواصل معهم وعقد اتفاقات معها سواء بشكل مباشر من طرف إسرائيل او عبر قوى اقليمية ودولية، حيث أنها جماعات متناحرة ولا قيادة مركزية لها. لهذا لن تسمح اسرائيل بسقوط نظام الأسد ان استطاعت ورغم ان إسرائيل لا تستطيع أن تحدث تغييرا نوعيا في مسار الازمة السورية لكن علاقاتها الدولية الواسعة تجعلها تستطيع الضغط على هذا الطرف او ذاك لمحاولة القضاء أو تقليل خطر هذه الجماعات الإسلامية. لذلك تابع العالم ومازال يتابع كيف أن التحالف الدولي ضد تنظيم الدولة الإسلامية يقوم باستهداف مواقع هذا التنظيم دون التعرض لقوات الأسد.

يمكن لإسرائيل أن ترضى بإسقاط نظام الأسد إذا تأكدت أن النظام الذي سيأتي بعده لن يكون نظاما متطرفا وأنه يمكن للغرب التفاهم معه عبر اتفاقات ومعاهدات تضمن أمنها وحدودها.

إن دخول السنة الخامسة من الثورة السورية دون أن يستطيع احد الأطراف حسم المعركة لصالحه وبقاء سيطرة النظام على اماكن محددة، وتنظيم الدولة الإسلامية في أماكن أخرى، والأكراد كذلك في أماكن محددة، والجيش الحر في أماكن محددة، كل ذلك يهدد بتقسيم الدولة السورية على أساس طائفي وعرقي وهذا السيناريو في مصلحة إسرائيل في نهاية الأمر حيث أنها دولة قائمة على أساس ديني وليس على أساس المواطنة وأي تفتيت للمنطقة بشكل عرقي وطائفي يساعدها على التواصل مع هذه الدويلات وعقد اتفاقيات سلام معها بل وربما تعاون على شتى الأصعدة، وستكون دويلات ضعيفة ولا تفكر بمحاربة إسرائيل، وستكون هذه الدويلات في الأغلب بمواجهة بعضها البعض.وسيكون هناك عمليات قتل على الهوية وعمليات تهجير مستمرة، مما يظهر إسرائيل في العالم على أنها بحيرة للسلام وسط محيط من الفوضى والقتل والهمجية. وربما تفتيت سوريا يشجع أطرافا في لبنان والعراق واليمن



على المطالبة بما يشبه هذا التقسيم على أساس طائفي وديني وعرقي، وستخرج إسرائيل المنتصر الوحيد في المنطقة.

إن ترجيح أي سيناريو في سوريا يحمل في طياته نوع من القلق والتوتر لإسرائيل وذلك لأنها تفضل بقاء الأسد مع نزع سلاحه، وهذا ما وضعه باحث في مركز أبحاث الأمن القومي الإسرائيلي عندما قال: "إن النظام العلوي هشّ وقابل للضرب كما أن لإسرائيل طرقاً سهلة للوصول إليه عسكرياً، ولكن إذا سقط النظام فستكون النتيجة عدم اليقين بالنسبة لإسرائيل"<sup>١٦</sup>.

إن استمرار الإزمة السورية واستنزاف الدولة والقضاء على الاقتصاد ومن قبلها على الشعب، كل ذلك يجعل إسرائيل متمهلة في الإجابة على أفضل سيناريو لها، وربما تفضل أن تنتظر مزيداً من الوقت قبل أن تجيب عن أي السيناريوهات تفضل.

### المبحث الثالث: الدول العربية الفاعلة في الثورة السورية

في هذا المبحث سيتم تقسيم الدول العربية إلى قسمين، أولاً: الدول العربية الفاعلة والمؤثرة في الثورة السورية نتيجة دعمها للثورة سواء المالي أو العسكري وإلى أي درجة تدعم الثورة وكيفية الدعم، مثل (قطر والسعودية ومعها الإمارات والكويت والبحرين بشكل نسبي)، أما القسم الثاني فهي الدول العربية المجاورة لسوريا وكيف أنها اضطرت لأن تتدخل في الازمة السورية سواء عن طريق استقبال اللاجئين او محاولة حماية حدودها من تغول قوى النظام السوري او بعض الجماعات المتطرفة على الحدود، واستعراض مصالحها في بقاء أو سقوط النظام السوري مثل (الاردن ولبنان والعراقي)

١-السعودية: لقد راقبت المملكة العربية السعودية ثورات الربيع العربي بكل حذر وريبة حيث أرادت هذه الثورات أن تغير الأنظمة الدكتاتورية والتي لا تؤمن مشاركة فعالة لشعوبها في الحكم، ولا تضمن توزيع عادل للثروة، ولكن الأمر يبدو مختلفا في الثورة السورية، حيث ساندت السعودية حكومة وشعبا الثورة السورية ويعود ذلك لعدة أسباب لا نستطيع ان نقلل من أهمية الدافع الديني حيث رأى العالم كيف أن آلة البطش للنظام السوري تفتك بالشعب وتقتل وتشرد وتهدم. كل ذلك جعل الشعب والحكومة السعودية يساندوا الثورة السورية سياسيا ودبلوماسيا وإعلاميا، ولا ننسى كذلك أن للسعودية مصلحة بسقوط النظام السوري، هذا النظام الذي ارتبط بعلاقات وثيقة مع إيران عبر عقود، رغم كل محاولات الدول العربية والسعودية بالذات على فك هذا الارتباط أو على الأقل التخفيف منه، حيث ترى السعودية في النظام الإيراني خطرا وجوديا عليها وعلى مصالحها في الخليج والعالم العربي. ومع ذلك لم تكن طوال الوقت علاقة السعودية سيئة بالنظام السوري حيث أن العالم العربي وبالذات السعودية قد ساعدوا هذا النظام على الدخول إلى لبنان في الحرب الأهلية وإعطاء شرعية لهذا الدخول، وكذلك كانت السعودية هي من أنهى الحرب اللبنانية على أرض الواقع فيما سمّي باتفاق الطائف بين القوى اللبنانية والتي كانت سوريا منغمسة فيها حتى عام(١٩٩٠).

يعتبر وصول الأمير بندر بن سلطان لرئاسة الاستخبارات السعودية بعد سنة ونص من الثورة السورية لحظة مهمة في موقف السعودية من الثورة، حيث تدخلت السعودية فيها بشكل مباشر حيث كان للسعودية دور مهم في بناء الائتلاف السوري الذي يعتبر الجسد السياسي للثورة السورية على المستوى السياسي والدبلوماسي.

رغم أن السعودية واقفة ضد النظام السوري ولكن هذا لا يعني بالضرورة أنها متفقة مع كل فصائل المعارضة ولاسيما أن هذه المعارضة مختلفة ايدولوجيا فمنها المتطرف ومنها المعتدل ومنها الليبرالي. حيث تريد المعارضة العلمانية على سبيل المثال دولة ديمقراطية علمانية وهذا لا ينسجم مع توجهات وجذور الدولة السعودية، لذلك تركّز السعودية في بناء تحالفاتها على الفصائل الإسلامية غير المتطرفة مثل جيش الإسلام بقيادة زهران علوش، رغم الملاحظات الكثيرة والشكوك حول توجهات علوش والتي لا يخفيها الكثير من الفصائل الإسلامية الأخرى، وربما يعود دعم السعودية لجيش الإسلام إلى محاولتها الحد من نفوذ الإخوان المسلمين سياسيا وعسكريا، وكذلك تقوم السعودية بدعم ما للجيش الحر كونه ل يضم عناصر متطرفة، وكذلك تدعم بعض الفصائل الأخرى المعتدلة. وهناك من يرى أن لجيش الإسلام مهمة أخرى بعد سقوط النظام وهو أن يكون نواة لمحاولة تقليص نفوذ الفصائل المتطرفة التكفيرية سواء تنظيم الدولة الإسلامية (داعش) أو النصرة أو غيرها. وربما يكون لجيش الإسلام مهمة ضمن ترتيبات دولية وإقليمية وهي أنه في حال انهيار النظام السوري عدم الدخول للمناطق ذات الأكثرية العلوية حقنا للدماء ولترتيب أوضاع ما بعد النظام، لذلك لم يكن غريبا ما توارد عن خطط لجيش الإسلام من تدريب عناصر منه في الخارج برعاية سعودية.<sup>١٧</sup>

يعد استلام الشيخ تميم حكم دولة قطر بعد تنازل والده عن الحكم، وقتا مناسباً لأن تأخذ المملكة العربية السعودية دوراً أكبر في ملف الثورة السورية، وذلك ضمن تفاهات دولية، حيث لم تستطع قطر إحداث خرق وتقدم حقيقي ملموس سواء في المجال العسكري أو السياسي. لقد أصبح للأمير بندر معرفة عميقة بتفاصيل المعارضة السورية المسلحة مما يؤهل السعودية وهي الدولة العربية الكبيرة على المستوى السياسي والاقتصادي والديني لأن تلعب دوراً

<sup>١٧</sup> محاولات سعودية لشراء الثورة السورية تحت غطاء التمويل والتدريب، جريدة الجارديان، موقع وطن.

محوريا في مسار الثورة، بصفتها زعيمة العالم السني. لذلك رأينا السعودية تقوم بانتقاد الدور الأمريكي الضعيف والمتخاذل في دعم الثورة السورية، وكذلك ضعف دور الأمم المتحدة في تقديم المساعدة والإغاثة للشعب السوري. لقد استبشر كثير من العرب عند وصول الملك سلمان إلى سدة الحكم في السعودية حيث له رؤية عن طبيعة المخاطر والتحديات التي تواجه العالم العربي، وجاءت عاصفة الحزم التي أطلقتها السعودية ضد المتمردين الحوثيين المدعومين من إيران، لتعبر عن هذه الرؤية ولا سيما أن عاصفة الحزم جاءت عبر تحالف عدة دول عربية في محاولة منها للانتقال من ردة الفعل إلى الفعل. ولقد وصلت نسائم عاصفة الحزم إلى الثورة السورية وبالذات في الشمال حيث توحدت بعض فصائل المعارضة فيما يطلق عليه جيش الفتح ليحققوا انتصارات متتالية ضد جيش النظام. ومع ذلك دوما هناك من يهمس بأنه ليس من مصلحة حتى السعودية سقوط النظام السوري، حيث ستفرغ الفصائل التكفيرية والمتطرفة مثل داعش والنصرة من القتال في السورية، لتخرج إلى قتال السعودية بشكل أكبر وربما داخل أراضيها، وقد يكون استمرار القتال بين نظام الأسد وهذه الفصائل وانهاكهما معا من مصلحة أكثر من جهة في المنطقة.

٢- قطر: كثير من الدول العربية توجست من الربيع العربي خوفا من أن تصلها رياح التغيير والمطالبات الشعبية بالحرية والديمقراطية وإعادة توزيع الثورة. كانت قطر على عكس هذه الدول، ولم تجد أي مانع في ان تنطلق في تأييد ثورات الربيع العربي وقد يعود ذلك إلى ان دولة قطر دولة غنية وصغيرة ولا يوجد اي مطالب جذرية تدعو الشعب للخروج للمطالبة بتغيير جذري في نظام الحكم، على العكس من ذلك بل ان قطر وجدت في ثورات الربيع العربي فرصة للبروز عربيا وإقليميا ودوليا، ولا يمكن أن نغفل كذلك تعاطف قطر مع ثورات الربيع العربي ومطالبها العادلة.

منذ وصول بشار الأسد لحكم سوريا، اتصفت العلاقات السورية القطرية بالدفء والإيجابية حيث تستثمر قطر في سوريا حوالي (٦) مليارات دولار غير الاتفاقيات التجارية الموقعة بين البلدين. كما كانت قطر طرفا أساسيا في إنهاء شبه الحصار على سوريا سياسيا بعد أن تم توجيه اتهامات مباشرة لدمشق بالتورط في اغتيال رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، بل أن قطر كانت الدافع الأساسي لرئيس جمهورية فرنسا آنذاك ساركوزي، لكي يقوم بزيارة لسوريا في ذلك الوقت.

ولا يخفى على المراقبين للشأن القطري أنها تخطت لنفسها سياسية خاصة بها مختلفة عن جاراتها الخليجيات، حيث كانت تعلن الدوحة تأييدها لما يسمى "خط الممانعة والمقاومة" وحق حزب الله وسوريا في مقاومة إسرائيل. بل أن الشيخ حمد أمير دولة قطر آنذاك قد قام بزيارة للبنان والضاحية الجنوبية تحديد، بعد العدوان الإسرائيلي عام (٢٠٠٦) وتبرع لإعادة اعمار ماخر به العدوان وقامت الآلة الإعلامية لحزب الله والنظام السوري بامتداح نهج قطر السياسي.

لم تعلن قطر تأييدها بشكل مباشر للاحتجاجات التي شكلت شرارة الثورة السورية، لكن سرعان ما انحازت للشعب في ثورته ضد الدكتاتورية، وقطعت الدوحة علاقاتها الدبلوماسية مع النظام السوري، وسحرت كل طاقاتها لنصرة الثورة السورية إعلامياً وسياسياً ودبلوماسياً وإنسانياً، وإلى حد ما مادياً. وكانت الدوحة قد ترأست في بداية الثورة لجنة عربية منبثقة عن جامعة الدول العربية لمحاولة عقد حوارات وطنية للأطراف المتناحرة في الثورة السورية. ولمحاولة وقف نزيف الدم السوري، كل ذلك كان أواخر عام (٢٠١١)، لذلك لم يكن غريباً أن تكون انطلاقة الائتلاف الوطني السوري من الدوحة عام (٢٠١٢) بعد أن فشلت كل المحاولات والمطالبات العربية والدولية والإقليمية للنظام السوري بالكف عن سفك الدماء والدخول بحوار جدي مع المعارضة. إن انطلاق الائتلاف الوطني السوري من الدوحة له عدة دلالات، ومنها أن الدوحة دولة محورية ومهمة في الإقليم، وأنها تريد أن تلعب دور قوي ومؤثر في الملف السوري، وأنها ليست دولة تابعة للقرارات الخليجية التي تتزعمها السعودية. لذلك كان نهجها يختلف نسبياً في مقاربة الملف السوري عن نهج الدول الخليجية الأخرى، حيث أن علاقة قطر مع الإخوان المسلمين السوريين علاقة جيدة، حيث أن تنظيم الإخوان تنظيماً قوياً ومنظماً ويمتلك خبرة سياسية واسعة في مقارعة النظام السوري، وربما تعتقد قطر أن نجم الإخوان المسلمين السوريين أو في الدول العربية الأخرى في طريقهم (آنذاك) للإمساك بزمام السلطة في هذه الدول وربما في غيرها أيضاً. وبذلك تعلق قطر بتحالفاتها الناجحة ويسطع نجمها.

رغم أن توجه قطر في دعم الثورة السورية واضح ولا لبس فيه وكذلك توجه السعودية، ورغم أن هاجسهما معاً التوسع الإيراني في المنطقة، إلا أن يمكن للمراقبين ملاحظة حالة من التوافق والتزام بين الرياض والدوحة في الملف السوري تحديداً. حيث أن تأييد الدوحة للإخوان وبعض الفصائل المسلحة المرتبطة بهم، سلوك تتوجس منه السعودية، حيث

أن قطر مازالت تدعم حركة الإخوان المسلمين أيضا في مصر رغم زوال حكمهم وصول السيسي إلى سدة الحكم بإنقلاب عسكري، وعليه وصل هذا التوتر إلى ذروته بسحب السفراء الخليجيين من الدوحة للضغط على قطر لإعادة قراءة نهجها السياسي في هذا الصدد.<sup>١٨</sup>

إن جمود الأوضاع في الثورة السورية، ومراوحة الثورة مكانها أعطى انطبعا بأن تغييرا ما يجب أن يتم، لذلك لم يكن غريبا فور وصول الشيخ تميم للحكم في قطر خلفا لوالده، ساد شعور بأن قطر تتراجع في الملف السوري لصالح السعودية التي أمسكت بزمام الأمور، ودعمت الثورة السورية على عدة أصعدة، وإن لم تصل للدرجة المأمولة بعد، وربما أيضا وصول الملك سلمان إلى سدة الحكم في السعودية أنهى هذا التزاحم، وكل ذلك لا يعني أن قطر ستتوقف عن دعم الثورة السورية، بل أنها سائرة في هذا الدعم من منطلقات إنسانية وإسلامية وعروبية، ومن أجل الحفاظ على أمن المنطقة.

٣- الأردن: منذ انطلاق الربيع العربي، وكثيرا من الدول تتوجس أن يصل إليها ويحدث خلا، وبالذات الدول ذات القبضة الحديدية مثل سوريا والتي وصلتها بالفعل رياح الربيع العربي في آذار ٢٠١١، وقام الأردن بتقديم النصح للنظام السوري بالقيام بمجموعة من الإصلاحات السياسية والاقتصادية والأمنية وإنهاء القبضة الحديدية، لمحاولة أن لا تدخل سوريا بحالة من الفوضى قد يدفع ثمنها الأردن أيضا، حيث أن الأردن يستقبل منذ بداية الثورة السورية آلاف اللاجئين السوريين الهاربين بحياتهم وأعراضهم من آلة القتل والبطش للنظام السوري، لذلك وجّه الملك عبد الله الثاني ملك الأردن دعوة صريحة لبشار الأسد لضرورة التنحي للحيلولة دون إغراق سوريا بحمام دم، وهو ما حصل بالفعل.

إن علاقة الأردن بسوريا لا تتعلق فقط بجوار جغرافي ولكن بوحدة سكانية ثقافية ومصالح، لذلك ليس من خيارات الأردن المتاحة عمليا قطع العلاقات الدبلوماسية، بل أن الأردن يعتقد أنه من الأفضل للشعبين السوري والأردني أن تبقى هذه العلاقات السياسية والاقتصادية مستمرة، وبنفس الدرجة، قام الأردن بفتح أراضيه للمعارضة السورية

<sup>١٨</sup> أنظر عبد الباري عطوان، قطر تتراجع، الرأي اليوم.

المعتدلة، وغير العسكرية، حيث يستقبل الأردن بشكل متواصل المعارضين السياسيين والمنشقين العسكريين والمدنيين، وقد كان منهم رئيس الوزراء السابق (رياض حجاب)، وتعود ضبابية الموقف الأردني من النظام السوري لحساسية العلاقة بين البلدين، حيث أن سوريا مهمة جدا اقتصاديا بالنسبة للأردن، بل أن الأردن يرتبط بمعاهدات مائية مع سوريا بحيث لا يستطيع تجاوزها لأنه يعتبر من أفقر دول العالم بالمياه. هذا عدا على أن الشارع الأردني وإن كان في أغلبه مؤيد للثورة سواء الإسلاميين منهم أو غيرهم، حيث أن (٨٢٪) من الشعب الأردني يؤيدون الثورة<sup>١٩</sup> الا ان هناك مجموعة مازالت تؤيد النظام السوري وبالذات من اليسار الذين يعتقدون أن هناك حرب عالمية على خط الممانعة والمقاومة، ويعتقدون أن النظام السوري مستهدف بسبب عدائه المعلن لإسرائيل. والنظام الأردني لا يود أن يكون منحازا لطرف على حساب الطرف الآخر حفاظاً لتوازنات سياسية في بلد لا يحتمل الهزات الكبيرة. وربما يعود جزء من ارتباك الموقف الأردني تجاه النظام السوري الى ضغوط إقليمية ودولية سواء كانت مؤيدة للنظام السوري او ضده، أو انها تعلن انها ضده ولكنها لا تود إسقاطه، وكل ما ترغب فيه هو إنهاء النظام. أكثر ما يخشاه الأردن هو سقوط نظام بشار دون إعداد بديل له، بديل معتدل يستطيع السيطرة على كامل التراب السوري، ويضمن مشاركة جميع أبناء سوريا بنظام ديمقراطي تعددي لان هذه الفوضى إذا حصلت يعني أن التيارات المتطرفة ستكون لها أرضية خصبة للانطلاق منها للأردن حيث تسيطر بعض الجماعات المتطرفة على أجزاء من الحدود الأردنية السورية مثل النصر، كذلك وجود حزب الله في درعا يعني أن الحرس الثوري الإيراني أصبح على الحدود الأردنية بشكل عملي، وهو ما لاترضاه الأردن ويشكل تهديد للأمن الوطني الأردني، بل أن هذه الفوضى قد تشجع بعض الخلايا النائمة للجماعات المتطرفة في الأردن للتحرك في المملكة، مما يشكل خطر حقيقي يعم المنطقة أيضا. كذلك هناك ملف اللاجئين وهو ملف كبير ومحوري بالاهتمام الأردني، حيث مع بداية العام الخامس للثورة دخل إلى الأردن ما يقارب المليون لاجئ سوري وهو ما يشكل ضغط على موارد المملكة المحدودة، ولا سيما المياه. هذه الاعداد الكبيرة التي لم يكن الأردن مهياً لاستقبالها من اللاجئين لا يستطيع الأردن وحده القيام بإعلاء

<sup>١٩</sup> استطلاع قام به المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية بعد عام ونصف من الثورة السورية، جريدة الرأي الأردنية.

استقبالهم والإيفاء بمتطلباتهم الإنسانية المتعددة، وهو ما يتطلب تدخلا دوليا من الأمم المتحدة والدول المانحة، لكي لا يقف الأردن عاجزا أمام احتياجاتهم. إن هؤلاء اللاجئين وإن كانوا قد جاءوا إلى الأردن بظرف استثنائي وإنساني إلا أن الأمر لا يخلو من احتكاك اجتماعي في بعض المناطق وخصوصا في الشمال الأردني حيث يوجد أغلب اللاجئين، مع احتمال اندساس مجموعات متطرفة أو عناصر من استخبارات النظام السوري للقيام بأعمال تخريبية في الأردن. إن سقوط النظام السوري أيضا يعني أن العناصر المتطرفة أصبحت تسيطر على الحدود الأردنية السورية والحدود الأردنية العراقية، مما يشكّل امتحان حقيقي لقدرات الأردن الأمنية والعسكرية واستنفار لكل طاقاته، حيث أن القوات الأردنية ستكون هي الجهة الوحيدة الواقفة على كل من الحدود بين الأردن وسوريا، والأردن والعراق.

بات من الواضح أن الأردن يحاول بمواقفه غير الحادة بالنسبة للأزمة السورية أن يكسب مزيدا من الوقت، ليستطيع دراسة الموقف عن كثب، ودراسة كل الاحتمالات والمتغيرات على الأرض.

إن بداية السنة الخامسة للثورة السورية قد حملت معها أخبارا طيبة لتقدم هذه الثورة ولاسيما في الشمال والجنوب السوري، وهذا ما شجع الأردن ربما على القيام بخطوات إيجابية تجاه الثورة السورية وإن بدت خجولة مثل تدريب العشائر السورية في الأردن للتصدي لداعش وللنظام السوري أيضا. ومع ذلك إن عدم اتخاذ الأردن خطوة حاسمة بإعلان العداء الصريح للنظام السوري ربما يجعل الأردن مكانا مناسباً كحلقة للوصل بين أطراف متناحرة، ولهذا عندما كرر أحد اعمدة النظام السوري بهجت سليمان وهو الذي كان سفيراً للنظام السوري في عمان، بعض التصريحات المسيئة للأردن، لم يقم الأردن بقطع العلاقات الدبلوماسية مع النظام السوري واكتفى بطرد السفير واستقبال بديل له.

إن حدود الأردن مع سوريا تمتد ل(570) كم، والأردن يعلم أنه لا يستطيع حمايتها تماما فقط بالانتشار العسكري على طول هذه الحدود، ولكن يحميها أيضا بعدم التورط بالملف السوري والذي طال أمده، ليبقى الأردن قويا بما يكفي لمساعدة الأعداد الكبيرة التي تدخله من اللاجئين بشكل متواصل وكي يكون ملاذا للفارين من بطش النظام السوري، وليكون أيضا سندا للنظام السوري الجديد الذي سيولد من رحم الثورة في إعادة إعمار سوريا. ومن يدري ربما تكون



الحكمة أحياناً ألا تتحرك كثيراً كما يفعل الأردن في الملف السوري عندما تكون المنطقة بأكملها محاطة ببحر من الرمال المتحركة.

٤- لبنان: يعتبر لبنان من أكثر الدول المجاورة لسوريا حساسية تجاه الثورة السورية، لذلك ومنذ بداية الثورة أعلن لبنان الرسمي النأي بالنفس عن هذه الأحداث، حيث أن أي موقف من الحكومة اللبنانية سينعكس على الداخل اللبناني الذي يتداخل مع سوريا جغرافياً وسياسياً واجتماعياً وسكانياً وطائفياً. وتعتبر التحالفات السياسية بين سوريا ولبنان من أعقد التحالفات في المنطقة وأكثرها تنوعاً، هذه التحالفات جزء منها يعود إلى الحرب الأهلية اللبنانية والتي كان لسوريا دور مباشر فيها حيث دخلت إلى لبنان عام (١٩٧٦) بغطاء عربي في محاولة منها لإنهاء تناحر الأطراف في لبنان ووضع حد للحرب اللبنانية، وإن كان الدخول السوري إلى لبنان تم الاختلاف على موجباته وعلى تقييمه، فإن خروج سوريا من لبنان مثل أيضاً نوعاً من تباين في وجهات النظر حول موجبات هذا الخروج، ولا سيما أنه تم في ظرف لبناني عصيب حيث تم اغتيال رئيس الوزراء اللبناني (السابق) رفيق الحريري، وهناك أطراف عدة اتهمت النظام السوري بالمسؤولية عن هذا الاغتيال. إن الثورة السورية بصراعها مع نظام الأسد، لا تعتبر مصيرية وحاسمة بالنسبة للشعب السورية ومستقبله، بل أن هناك أطرافاً كثيرة لبنانية تعتبر أن ما يجري في سوريا وما ستؤول إليه الأحداث هو مصيري أيضاً بالنسبة إلى لبنان وإلى مستقبل طوائفه واقتصاده. وعلى هذا الأساس لم تكن سياسة النأي بالنفس الرسمية اللبنانية لإشعاراً لم يصمد أمام هذه التدخلات.

إن انقسام الساحة السياسية اللبنانية إلى فريقين كبيرين، كل منهما يمثل وجهة نظر متباينة إن لم نقل متناحرة مع وجهة النظر الأخرى قد قسمت لبنان طائفياً ودينياً حيث يمثل تيار المستقبل بأغلبيته السنية وبعض المؤيدين له من المسيحيين والدروز، يمثل ما يطلق عليه تيار (١٤ آذار) وهناك تيار (٨ آذار) وهو يضم الطائفة الشيعية تقريباً من حزب الله وحركة أمل وبعض المؤيدين المسيحيين والدروز. وجاءت الثورة السورية لتزيد من حدة هذا الانقسام حيث أيد تيار (١٤ آذار) الثورة السورية فيما وقف (٨ آذار) ضدها، بل وتدخل بشكل مباشر عبر حزب الله تحديداً بشكل عسكري إلى جانب النظام السوري وهناك بعض الأفراد من السنة اللبنانيين يذهبون للقتال إلى جانب الثوار في

سوريا. وهو ما زاد من حدّة الانقسام اللبناني والانتهاكات المتبادلة بين الطرفين، كل ذلك فيما تصارع الدولة اللبنانية وفي السنة الخامسة للثورة السورية لحمل عبء اللاجئين السوريين في لبنان والذين يقدرون بحوالي مليون لاجئ، لا تستطيع الدولة اللبنانية حمل هذا العبء وحدها، وهو ما يشكل ضغطاً على لبنان سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، بل أن وجود هؤلاء اللاجئين خلق فرصة في بعض الأحيان لاحتكاك طائفي يتم تطويقه في كل مرة، حيث من المعروف أن اللاجئين السوريين في لبنان يمثلون في الأغلب الشريحة السنية، وهم يتواجدون أحياناً في مناطق لبنانية ذات اغلبيّة شيعية أو فيها بعض الشيعة وبالذات من مؤيدي حزب الله. وهناك كذلك احتكاكات دائمة في مدينة طرابلس شمال لبنان بين الأغلبية السنية التي تؤيد الثورة والأقلية العلوية التي تؤيد النظام السوري، مما يهدد السلام الاجتماعي الهشّ في لبنان والذي لم يتعافى تماماً من الحرب الأهلية اللبنانية، وقد يصل الاختلاف حول تقييم الثورة السورية إلى حافة الهاوية، وهو ما يعطل في كثير من الأحيان قدرة الدولة اللبنانية على القيام بواجباتها ليس تجاه اللاجئين فقط، بل اتجاه أيضاً مواطنيها.

إن استقرار لبنان الهش تاريخياً هو نتيجة بنيته الطائفية ولطالما كان النظام السوري جزءاً من الأزمة والحل على الساحة اللبنانية، ولكن في الثورة السورية يبدو أن الامر قد عكس، حيث يبدو لبنان بطوائفه وتدخلاتهم وبالذات حزب الله جزءاً من هذه الأزمة وجزئاً من اشتعالها، حيث لم ولن تعود قريبا العلاقات السورية اللبنانية فيما بعد سقوط نظام الأسد إلى طبيعتها السابقة، حيث يحمل السوريون في أغلبهم مرارة تدخل اطياف لبنانية معينة في محاولتهم للوقوف ضد الشعب السوري وإراقة دمائهم.

وأياً كان المنتصر في الأزمة السورية، وكذلك أيّاً كانت التوافقات او التسويات التي ستمخض عنها هذه الثورة، فإن مثلها بالضبط سينطبق على الساحة اللبنانية، حيث أن انتصار الثورة قد يعني بالنسبة لأطراف لبنانية انتصاراً لهم، وخسارة النظام قد يعني لأطراف أخرى خسارتها في لبنان، وهذا ما يعني ان هناك أطرافاً لن تكون راضية وستبحث عن فرصة أخرى لتغيير هذا الواقع، وسيستمر هذا التدخل المتبادل بين النظام السوري في لبنان وبعض الأطراف اللبنانية في

سوريا ما لم تسود البلدين والمنطقة حكم يمثل كافة الاطياف في كل دولة ودون تهميش لأحد، ودون أن يشكّل أي انتصار لطرف ما، شعور بالمرارة والهزيمة لأطراف أخرى.

٥-العراق؛ لطالما اتسمت العلاقات السورية العراقية بالحدة والتنافر والصراع، ولا سيما بعد نشوب الحرب العراقية الإيرانية بعد تولي صدام حسين لسدة الحكم في العراق، حيث اصطف النظام السوري إلى جانب إيران في هذه الحرب على الرغم من أن حزب البعث كان يحكم سوريا والعراق، وكذلك استمرت العلاقات بالتدهور وبالذات بعد ان انضم النظام السوري للتحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة لتحرير الكويت من الاحتلال العراقي.

عند اشتعال الثورة السورية كان العراق الرسمي ممثلاً برئيس الوزراء آنذاك(نوري المالكي) يشدد على أهمية إيجاد تسويات سلمية وتفاوضية لحل هذه الأزمة، ويؤكد العراق على أهمية استقرار سوريا بالنسبة للمنطقة. لكن خلف هذا الكلام والتصريحات عن الحلول السلمية والاستقرار، كان نوري المالكي ينسق بشكل مباشر مع النظام الإيراني حول كيفية دعم نظام الأسد بشتى أنواع المساعدات ومنعه من السقوط، كل ذلك بخلفية طائفية للمالكي حيث أنه اعتبر أن من يقوم بالثورة على بشار الأسد هو حاقد وعميل بل وجاهل<sup>٢٠</sup> على الرغم من أن المالكي ذاته لم يأتي لحكم العراق عبر ثورة شعبية بل جاء عبر دبابات الولايات المتحدة التي احتلت بغداد عام(٢٠٠٣).

ان اصطفاف النظام العراقي إلى جانب بشار الأسد قد انعكس بشكل مباشر بالتعامل مع اللاجئين السوريين بشكل طائفي رغم أن الأعداد التي وصلت إلى العراق من اللاجئين لم تكن كبيرة، ولكن المالكي أصدر تعليماته في بعض الأحيان بإغلاق الحدود العراقية السورية لمنع اللاجئين من الدخول رغم مطالبات المنظمات الدولية والإنسانية للمالكي بضرورة فتحها أمام اللاجئين.

لقد اصطف العراق الرسمي بالذات في حكم المالكي ومن بعده بشكل نسبي في حكم العبادي إلى جانب النظام السوري، رغم ان النظام العراقي ممثلاً بالمالكي قد قام إبان فترة حكمه باتهام النظام السوري بأنه يصدر للعراق الانتحاريين الذين يروعون العراقيين بل وطالب بضرورة محاكمة النظام السوري عبر المنظمات الدولية عن جرائمه

<sup>٢٠</sup>أنظر العراق وإشكاليات الموقف من الثورة السورية، فارس الخطاب، الجزيرة نت.

تلك. لقد أصبح العراق ممرا لكل أنواع المساعدات التي تأتي للنظام السوري عدا عن الميليشيات العراقية التي تذهب للقتال في سوريا إلى جانب بشار الأسد منها (عصائب أهل الحق) و(كتائب أبو الفضل العباس) وغيرها، بل ان هناك من الرموز الشيعية من وصف بشار الأسد بالأخ ومنهم (مقتدى الصدر).

أما على المستوى الشعبي فيبدو الانقسام بين مكونات الشعب العراقي إزاء الثورة السورية جليا وواضحا، حيث أن سنة العراق وبالذات العربي منهم يؤيدون الثورة السورية، بل ويستقبلون حسب قدرتهم اللاجئين السوريين في مناطقهم، أما بالنسبة للأكراد في العراق فيهمهم حصول أكراد سوريا على حقوقهم التي سلبها إياها النظام السوري من جنسية وحقوق مدنية وتنمية في مناطقهم، والبعض يود ان تحظى المناطق الكردية في سوريا باستقلال أو شبه استقلال وأن تحظى بحكم ذاتي موسع على الأقل، وربما يودون لو تنضم المناطق الكردية في سوريا لكردستان العراق. بل أنه ذهب البعض منهم للقتال إلى جانب أكراد سوريا في مدينة كوباني عين العرب على شكل بيشمركة أو حتى متطوعين. وهناك من أكراد العراق من ينظرون بريبة وشك إلى الثورة السورية ولا يثقون بها، حيث أنهم يخشون بعد سقوط بشار الأسد أن يأتي نظام ويقمع أكراد سوريا كما فعل النظام السابق، ولكن الخشية الأكبر من كل الأطياف في الشعب العراقي ان يسيطر المتطرفون على مساحات شاسعة من الأراضي السورية بما يعنيه ذلك من تصدير الإرهاب والعنف إلى داخل الأراضي العراقية وانتشار السلاح.

## المبحث الرابع: الميليشيات الفاعلة في الثورة السورية

سيتم استعراض هذا المبحث ثلاث ميليشيات كعينة للميليشيات التي تتواجد على الأراضي السورية وهي في مجملها ميليشيات تحركها دافع طائفي سواء سني أو شيعي، وفي الأغلب هي لا يهتمها حياة ولا كرامة الشعب السوري، وكثير من هذه الميليشيات تقف وراءها دول تمولها وتسليحها. هناك حزب الله، وكتائب أبو الفضل العباس المدعومتين من إيران بشكل مباشر. وهناك تنظيم الدولة الإسلامية السني في الجانب الآخر.

١- حزب الله: لم ينشأ حزب الله من رحم التربة اللبنانية السياسية والاجتماعية بل انه نشأ داخل السفارة الإيرانية في بيروت أوائل الثمانينيات لمقاومة الاجتياح الإسرائيلي للبنان ليكون ذراعاً لفيلق القدس الإيراني المعني بنشر ما تعتقده إيران ثورة لها في المنطقة. وخلال سنوات طويلة عرف حزب الله عن نفسه بأنه حركة مقاومة إسلامية ضد الكيان الصهيوني إلى ان جاء عام ٢٠٠٥ حين تم اغتيال رئيس الوزراء اللبناني السني رفيق الحريري وتم اتهام فيما بعد عناصر من حزب الله بهذا الاغتيال بأوامر من النظام السوري، ولم تلبث ميليشيا حزب الله ان تجاوزت كل ما وعد به الأمين العام للحزب حسن نصر الله، حيث طالما وعد اللبنانيين أن سلاح الحزب لن يرفع في وجه اللبنانيين أو في الداخل اللبناني، لكنه رفع في عام (٢٠٠٨) وتم اجتياح مدينة بيروت الغربية حيث الأغلبية السنية، وجبل لبنان لينفذ اجندات إيرانية في المنطقة ويأتي هذا طبيعياً من حزب نشأ وتسليح إيرانياً وانتماؤه للبنان انتماء شكلي لأن انتماءه الحقيقي لولاية الفقيه كما يقول اعداؤه، لكنه طالما صرح بأنه حزب لبناني عربي مقاوم. إن حزب الله ليس حركة مسلحة عادية بل ان له تمثيلاً في الحكومات اللبنانية عبر عدة وزراء ونوابا في البرلمان. ومع ذلك يتهمه خصومه بأنه حزب طائفي، حيث لم يعرف عن انتساب اعداد حقيقية من الطوائف اللبنانية الأخرى لهذا الحزب.

عند اندلاع ثورات الربيع العربي رحب الحزب بهذه الثورات بالذات ضد الأنظمة التي كانت على علاقات غير طيبة مع إيران مثل مصر، لكنه ارتبك حينما انطلقت شرارة الثورة السورية في آذار (٢٠١١) والتي بدأت بشكل سلمي تريد الحرية للمواطن السوري المقهور من قبل عصابة الأسد، ولكن الحزب الذي يدعي المقاومة ويعلنها لم يساند هذه الثورة بل ساند نظام بشار الأسد، وكانت الاتهامات إلى هؤلاء الثوار بأنهم عملاء للخارج ولا هم لهم إلا كسر خط المقاومة ممثلاً

إيران والنظام السوري وحزب الله. وعندما بدأ واضحا على النظام السوري أنه لم يستطع القضاء على الثورة، وأن هذه الثورة بدأت بالاتساع واخذ النظام بالضعف، تدخل حزب الله عسكريا إلى جانب النظام السوري وبرر هذا التدخل بحجج واهية، مرة لحماية الحجاج للمراقد المقدسة في سوريا، ومرة لحماية الشيعة في سوريا وكأن الشيعة ليسوا مواطنين سوريين، من المفروض ان يحميهم النظام ويحميهم تآلف تاريخي بين الطوائف في سوريا. لكن تدخله العسكري الفج والبعيد عن أي تواجد شيعي كبير أو اي مراقد جاء في مدينة القصير حيث قاتل الثوار مدعوما بسلاحه الإيراني وانتشر فيما بعد سواء في دمشق أو في درعا او في حلب، ليشكل سرطانا في الجسد السوري.

إن تدخل حزب الله عسكريا داخل الأراضي السورية اوجد جدلا كبيرا فمؤيدوه يدعون انه تدخل بشكل استباقي ضد الارهابيين مثل داعش والنصرة، وانه يريد استئصال شوكتهم قبل ان يمتدوا للداخل اللبناني، أما معارضوه فيقولون ان حزب الله تدخل قبل ان تعلن داعش عن تواجدها في سوريا، وسط هذا الجدل خرج رئيس حزب الله السابق صبحي الطفيلي ليعلن ان تواجد حزب الله في سوريا لا يخدم لا لبنان ولا سوريا ولا العروبة انما هو امر من إيران لفصيل عسكري تابع لها في لبنان.<sup>٢١</sup> إن تدخل حزب الله في الثورة السورية لصالح النظام السوري أحدث نوع من التوتر بين السنة والشيعة في لبنان وعلى مستوى المنطقة كذلك، وحدثت عمليات انتقامية من حزب الله في أماكن تواجد مناصريه من قبل مجموعات إسلامية متطرفة، وكذلك خسر حزب الله تأييد وتعاطف عشرات الملايين في العالم العربي حينما كان يعلن ان سلاحه لن يوجه إلا فقط ضد إسرائيل، لكن تدخل الحزب في الثورة السورية كشف انه ذراع عسكري في المنطقة لصالح إيران، وأنه ميليشيا طائفية ليس اكثر، ورغم أن العدد الدقيق لعناصر حزب الله في سوريا غير معروف ولكن هناك تقديرات تذهب إلى انه من (٤-٦) آلاف عنصر، وهناك من يقول انهم اكثر من ذلك. ولكنهم مسلحين ومدربين بشكل جيد. وإن مسألة خروج حزب الله من لبنان ليست بيد حتى الأمين العام للحزب حسن نصر الله، إنها مسألة يقرها فيلق القدس في إيران ومن ورائه خامنئي ذاته، وإذا لم يتم التوافق بين الدول الكبرى والإقليمية على حلّ توافقي للملف السوري، فإن حزب الله سيظل متواجد كما أن إيران ستبقى متواجدة في أربعة عواصم الآن وربما أكثر في المستقبل.

<sup>٢١</sup> أنظر سامية نخول، القصة غير الكاملة لتدخل حزب الله في سوريا، جريدة الزمن

## ٢- لواء أبو الفضل العباس:

يعتبر لواء أبو الفضل العباس الشيعي العراقي من أوائل الميليشيات الشيعية العراقية التي تدخلت لصالح نظام الأسد في محاولة قمعها للثورة السورية، وهذا اللواء يضم مقاتلين شيعة عراقيين وغيرهم من الميليشيات مثل التيار الصدري وكتائب حزب الله العراقي وعصائب أهل الحق، ويعود اسم هذا اللواء للعباس من أهل البيت لخصوصيته لدى الطائفة الشيعية والعراقيين بشكل خاص. ويعود تدخله لعام ٢٠١٢ تحت ستار حماية مرقد السيدة زينب في دمشق من خطر المجموعات السنية المتطرفة التي تريد هدم هذا المرقد حسب ادعائهم. وهناك تقديرات حول عدد هذا الفصيل في سوريا تصل إلى (٢٠٠٠) مقاتل مسلحين ومدربين بشكل جيد. وتعود نشأة هذا اللواء إلى عام (٢٠٠٥) حينما قاموا بهجمات على القوات الأمريكية في العراق إبان احتلالها له.

ورغم كل ادعاءات الميليشيات الشيعية ومنها لواء أبو الفضل العباس أنهم يقاتلون لحماية المراقد المقدسة للشيعية لكن الحقيقة انهم ينتشرون على كل التراب السوري وحيثما توجههم إيران، وحيث يكون هناك إنهاك لجيش نظام الأسد حيث سجّل تواجد هذا اللواء في الغوطة. واستمروا بالتواجد رغم ان مقتدى الصدر زعيم التيار الصدري أعلن عن رفضه أن يتواجد أي من عناصر تياره أو مؤيديه في سوريا وإن كان يشكك الكثير في هذا التصريح أو على الأقل انه ليس أكثر من تصريح شكلي. إن كل الادعاءات بخطر الثوار على المراقد الشيعية هو كلام لذر الرماد في العيون، حيث ان هذه المراقد كانت دائماً موجودة عبر مئات السنين ومصانة ضمن محيط سني وعلى سبيل المثال مرقد السيدة زينب ضمن منطقة سنية في دمشق.

ولا تختلف ميليشيا لواء أبو الفضل العباس بقتاله الطائفي في سوريا عن ميليشيات طائفية شيعية أخرى متواجدة إلى جانب النظام السوري منها لواء ذو الفقار، وحركة حزب الله النجباء، لواء أسد الله، وعلى العموم كلما اشتد القتال في العراق ضد الحركات الإسلامية المتطرفة وبالذات تنظيم داعش، كلما انسحبت اعداد من هذه الميليشيات العراقية من الداخل السوري رجوعاً إلى العراق مثلما حصل بعدما سيطر تنظيم داعش على الموصل في حزيران (٢٠١٤) حيث انسحبت اعداد كثير من هذه الميليشيات إلى العراق.

### ٣- تنظيم الدولة الإسلامية "داعش":

إن احتلال الولايات المتحدة للعراق عام (٢٠٠٣) قد أدخل العراق والمنطقة بحالة من الفراغ والفوضى، تمددت إيران عبر هذه الفوضى لمحاولة بث نفوذها الامر الذي لم يرضي السنة في العراق، فانطلقوا لمقاومة المحتل الأميركي أولاً وأيضاً لمحاولة وقف التغول الإيراني واستغلال سقوط نظام كان يعتبر لدى الكثيرين أنه نظام للطائفة السنية في العراق مما أدى إلى قيام حالة من الاحتقان الطائفي والعرقي في سوريا والعراق وخصوصاً بعد انطلاق الربيع العربي والانقلاب على هذا الربيع وسيطرة الثورات المضادة.<sup>٢٢</sup>

أدى هذا الأمر إلى قيام تنظيمات مسلحة كان من أبرزها تنظيم التوحيد والجهاد بقيادة أبو مصعب الزرقاوي الأردني الجنسية، هذا التنظيم الذي كان يرتبط بشكل ما في القاعدة قبل وفاة ابن لادن، وبعد مقتل الزرقاوي كان الرجل الذي أعلن إقامة تنظيم الدولة الإسلامية أبو بكر البغدادي عام (٢٠٠٦)، وكان يطمح إلى إقامة دولة إسلامية وبعد قيام الثورة في سوريا عام (٢٠١١) لم يتواجد التنظيم في اوائل الثورة في سوريا ولكن بدأ تواجهه بشكل نسبي عام (٢٠١٢) ليزداد التنظيم قوة وشراسة وتنظيماً وعتاداً بعد ذلك عبر تنظيم قوي ومتماسك مدعوم بالتكنولوجيا المعاصرة، حيث كان يركّز على العنصر الإعلامي عبر بث بعض عملياته العسكرية مستغلاً أسلوب بث الرهبة في القلوب من خلال الفيديوهات التي كانت تظهر قطع الرؤوس بل وصل الأمر للحرق عندما اعدم التنظيم الطيار الأردني (معاذ الكساسبة) حرقاً، وكذلك من خلال قيامه بالكثير من العمليات "الانتحارية".

ومع انتماء هذا التنظيم للسلفية الجهادية إلا انه وقعت بينه وبين كثير من التنظيمات الإسلامية في سوريا صدامات دموية وبالذات جبهة النصرة، حيث انه كان متشدداً فيما يعتقد انه تطبيقاً للشريعة الإسلامية من حدود وغيرها. ورغم تدخل الظواهري لنزع الخلاف بين النصرة وتنظيم الدولة إلا ان التنظيم لم يرضى بذلك واستمر باستهداف وقتل عناصر جبهة النصرة. وعليه تم اتهام تنظيم الدولة من قبل بعض التنظيمات بأنه صنيعاً أطراف خارجية لإعاقة مسار الثورة، وتعطيلها عن قتال قوات الأسد. ومن المعروف ان تنظيم الدولة الإسلامية يكفر كل من

<sup>٢٢</sup> أنظر حسن أبو هنية ومحمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، ص ٢٢٤.



يؤمن بالديمقراطية والدولة القطرية وانه يهدف إلى تأسيس الدولة الإسلامية وإقامة خليفة حيث تم تنصيب أبو بكر البغدادي بالفعل خليفة وإماما للمسلمين عام(٢٠١٤).

إن تنظيم الدولة الإسلامية تنظيم لا يآبه لقيام دولة سورية ديمقراطية كما تريد الثورة السورية، دولة تعددية لكل مواطنيها، ولهذا ليس من الغريب أن نجد معظم كوادر الدولة الإسلامية من غير السوريين وأن تركيز تنظيم الدولة في الأساس ينصب على العراق، وإن كان اتخذ الرقة في سوريا عاصمة له حيث اصطدم على أطرافها مع تنظيمات إسلامية أخرى. ويقدر عدد مقاتلي تنظيم الدولة بحوالي(٥٠٠٠٠) مقاتل ويزدادون باستمرار نتيجة الدعاية التي يقدمها التنظيم عن إمكانياته وعن انتصاراته. هذا وينتشر تنظيم الدولة أيضا في كل من دير الزور وحلب وبعض الأماكن الأخرى. وطالما أن تنظيم الدولة يحقق انتصارات سيستم الكثيرون من خارج سوريا في الأغلب بالانضمام إلى صفوفه ولكن في حال حصول انتكاسة كبرى يُعتقد ان الصورة الذهنية التي قدمها التنظيم لأنصاره ستكسر وسيبدأ المناصرون بالانفضاض من حوله.

إن تنظيم الدولة الإسلامية بصورته العنيفة يزداد قوة مع انتشار الاستقطاب الطائفي والتمدد وتغول إيران وميلشياتها وشعور الطائفة السنية في كل من العراق وسوريا ولبنان بالاستضعاف، وكما يزيد من قوته أيضا فشل الدولة القطرية وفسادها ومحاباة بعض مواطنيها على حساب البعض الآخر، كل هذه الأسباب تزيد من قوة التنظيم وتظهره على انه السند للطائفة السنية لدى بعض أفرادها. ومع ذلك إن العنف يزداد كلما ازداد الاحساس بأن هويتنا فريدة ولا مثيل لها، وهو ما يعتبر مكوّن أساسي من مكونات العنف وبالذات العنف الطائفي<sup>٢٣</sup>

## الخاتمة:

<sup>٢٣</sup> أنظر امارتيا سن(ترجمة سحر توفيق)، العنف والهوية، ص ٩.

إن العلاقات الدولية عالم يقوم على المصالح والمنافع ولا يقوم في الأغلب على المبادئ الأخلاقية، لذا لم يكن من المستغرب أن تقوم بعض القوى العالمية والإقليمية بالتدخل في ملف الثورة السورية سواء كان هذا التدخل مع هذه الثورة أو ضدها.

لقد حاول كل طرف من هذه القوى بتدخله بالثورة السورية أن يزيد من قدرته على التحكم في مسار هذه الأحداث خدمة لنفسه أولاً، وربما لحلفائه، وكان الشعب السوري في وسط هذه الدوامة الدولية يناضل ويقدم التضحيات للحصول على حريته من نظام دكتاتوري وسط بيئة دولية هشة وعجز للنظام الدولي ممثلاً بالأمم المتحدة، وانهيار للنظام العربي والجامعة العربية لكن كلما زادت التدخلات الدولية والإقليمية في الثورة السورية نرى ان الشعب السوري يضحي أكثر ليقترّب أكثر من حريته.

## النتائج:

- ٣- أدى التعامل الامني والقبضة الحديدية لنظام الأسد في تعامله مع الشعب عبر عقود، وبالذات في تعامله مع ثورة الشعب السوري الأخيرة إلى سقوط مئات الآلاف من الشهداء وتهديم البنية التحتية وملايين اللاجئين والنازحين في داخل سوريا وخارجها.
- ٤- أدى دعم إيران وأذرعها مثل حزب الله والمليشيات الشيعية الأخرى للنظام السوري من جهة، وتدخل داعش وغيرها من جهة أخرى، إلى اضعاف طابع طائفي على الثورة السورية، وهي الثورة التي انطلقت للمطالبة بالحرية وبناء دولة ديمقراطية.
- ٥- الثورة السورية أوضحت تماما للشعب السوري وللعالم ان الغرب لا يهتمه حقوق الإنسان ولا نصرته الشعوب المطالبة بالحرية والعدالة والديمقراطية إلا عندما تلتقي مصالحها مع هذه الشعوب، وإن كل ما يهتمها في المنطقة هو أمن اسرائيل واستمرار تدفق النفط بسلام وبأسعار رخيصة.
- ٦- إن الثورة السورية قد أماطت اللثام عن الوجه الحقيقي لحزب الله الذي طالما ادعى انه حزب لا يوجه سلاحه إلى لمقاومة العدة الصهيوني، ولكن بتدخله في سوريا أثبت وجهه الطائفي وتبعيته لإيران.
- ٧- إن هشاشة النظام الدولي ممثلا بالأمم المتحدة، قد اتضح عجزه تماما في الثورة السورية، حيث لم تستطع الأمم المتحدة ولا المنظمات الدولية الأخرى ومنها جامعة الدول العربية على وقف سفك الدماء، ولم تفلح كذلك حتى في إغاثة اللاجئين والنازحين والجوعى والمرضى.
- ٨- عجز الدول العربية عن إغاثة الشعب السوري في ثورته قد كشف أن النظام العربي هو نظام ميت ولا يرجى منه خير، وأن المنطقة مباحة بوجه أي قوى تمتلك ترسانة عسكرية وسببا للتدخل.
- ٩- لقد أدت سيطرة حزب البعث بشكل نظري وطائفة معينة على مقدرات الشعب السوري وتعامله بشكل قمعي مع المكون الأكبر في سوريا أدى إلى نوع من الاحتقان والتباعد وزاد من حدة هذا الاحتقان تعامل النظام السوري مع الثورة السورية، حيث ان كثير من رموز هذا النظام من لون واحد أو من أصحاب المصالح من المكونات الأخرى.

## التوصيات:

- ١- سقوط نظام الأسد لا يعني بالضرورة أن الخطر قد زال عن سوريا فما زال خطر تفكك سوريا قائماً ما لم يتم الإسراع ببناء سوريا الحديثة الديمقراطية لكل أبنائها.
- ٢- محاسبة رموز النظام السابق ممن سفكوا الدماء وهدروا الثروات وأن يتم تقديمهم للمحاكمة وتطبيق العدالة الانتقالية لكي لا تستمر الأحقاد وهدر الحقوق.
- ٣- إقامة علاقات مع القوى الدولية والإقليمية بشكل متوازن بما يحفظ مصالح سوريا وشعبها دون الدخول في لعبة الأحلاف والمحاور وهذا لا يعني ألا يتم التعامل مع الدول التي ساندت الشعب السوري في نضاله من أجل الحرية والعدالة والديمقراطية.
- ٤- بعد محاسبة المجرمين بشكل عادل، لا بد من الاتجاه للمصالحة الوطنية حيث ان سوريا لكل أبنائها، والابتعاد عن نظام المحاصصة بين الطوائف والقوميات وتجنب ما وقع فيه الجار العراقي من هذه الإشكاليات.
- ٥- احتواء المقاتلين والمجاهدين ضمن صفوف الجيش وقوى الامن وحصر امتلاك السلاح واستخدامه في الدولة من خلال الجيش واجهرتها الامنية فقط ضمن الضوابط القانونية، حتى لا تنتشر الميليشيات. مع ضرورة دراسة الحالة الليبية بهذا الشأن بشكل خاص.
- ٦- لقد منح النظام السوري الجنسية لمئات الالاف من مناصريه من خارج سوريا وبالذات من إيران، وتم بيع الكثير من أملاك الدولة لصالح إيران، لذلك يجب دراسة هذه الملفات بعناية مع سحب الجنسية مما لا تنطبق عليه ضوابط الجنسية السورية، وكذلك نزع الاملاك ممن لا حقوق لهم فيها، وفي هذا الشأن ممكن مراجعة الأرشيف التركي العثماني لحصر المواطنين ممن يحق لهم الحصول على الجنسية، وتحديد الممتلكات.
- ٧- إقامة هيئة مختصة بمتابعة الاموال التي تم تهريبها للخارج والتعاون بذلك مع الجميع ممن لديهم الخبرة في هذا الشأن من أشخاص ومنظمات ودول.

- نيكولو ميكافيلي (ترجمة عبد القادر الجموسي)، كتاب الأمير، وزارة الثقافة الأردنية، ٢٠١١.
- تيد روبرت جار (ترجمة رفعت سيد أحمد)، أقلييات في خطر، مكتبة مدبولي، مصر، ١٩٩٥.
- حسن ابو هنية ومحمد أبو رمان، تنظيم الدولة الإسلامية، فريدريش إيبيرت، ٢٠١٥، عمّان.
- روبرت د. كابلان (ترجمة: إيهاب عبد الرحيم علي)، انتقام الجغرافية، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠١٥.
- امارتيا سن (ترجمة سحر توفيق)، العنف والهوية، سلسلة عالم المعرفة، ٢٠٠٨.
- مجزة حماة، ويكيبيديا.
- وول ستريت جرنال، ٣١-١-٢٠١١
- تطورات الموقف الأمريكي في الثورة السورية، معهد الدوحة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،  
<http://www.dohainstitute.org/release/dbc39132-41bd-48c1-852c-3d2e394e5c4b>
- أحمد أبو زيد وبلال عبداللّٰه، الموقفان الروسي والصيني وأزمة كيمابوي الأسد، معهد العربية للدراسات،  
<http://studies-alarabiya.net>
- مقال فراس عبّاس، محددات الموقف الصيني من الازمة السورية، مجلة حمورابي للبحوث والدراسات الاستراتيجية.
- مركز أنباء الأمم المتحدة
- الدعم الإيراني للنظام السوري في ازمة سورية، ويكيبيديا
- كريم اللّٰه دندوش، إيران والثورة السورية، موقع علامات اونلاين
- د. رضوان السيد، إيران وإسرائيل والثورة، جريدة الشرق الأوسط، عدد ١٢٤٩١، تاريخ ٨-٢-٢٠١٣
- رانيا طاهر، الدور التركي في ظل ثورات الربيع العربي، مركز أمية للبحوث
- إسرائيل والثورة السورية: فليستمر القتال...والأسد، موقع جريدة العربي الجديد
- محاولات سعودية لشراء الثورة السورية تحت غطاء التمويل والتدريب، جريدة الجارديان، موقع وطن
- عبد الباري عطوان، قطر تتراجع، الرأي اليوم
- استطلاع قام به المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية بعد عام ونصف من الثورة السورية، جريدة الرأي الأردنية
- العراق وإشكاليات الموقف من الثورة السورية، فارس الخطاب، الجزيرة نت

- سامية نخول، القصة غير الكاملة لتدخل حزب الله في سوريا، جريدة الزمن
- <http://www.albawaba.com/ar>

### الفهرس

الصفحات	المباحث
ص ١	مصطلحات البحث
ص ٢	المقدمة
ص ٣	مبحث تمهيدي: (نظرة إلى سوريا الحديثة)
ص ٤	١- المسار السياسي
ص ٧	٢- بداية الاحتجاجات وانطلاق الثورة
ص ١٠	المبحث الأول: القوى العالمية الفاعلة في
	الثورة السورية
ص ١١	١- الولايات المتحدة والغرب
ص ١٣	٢- روسيا
ص ١٥	٣- الصين
ص ١٧	٤- الامم المتحدة
ص ٢١	المبحث الثاني: القوى الإقليمية الفاعلة في
	الثورة السورية
ص ٢٢	١- إيران

ص ٢٥	٢- تركيا
ص ٢٩	٣- إسرائيل
ص ٣٣	المبحث الثالث: الدول العربية الفاعلة في الثورة السورية
ص ٣٤	١- السعودية
ص ٣٦	٢- قطر
ص ٣٩	٣- الأردن
ص ٤٢	٤- لبنان
ص ٤٤	٥- العراق
ص ٤٧	المبحث الرابع: الميليشيات الفاعلة في الثورة السورية
ص ٤٨	١- حزب الله
ص ٥٠	٢- لواء أبو الفضل العباس
ص ٥١	٣- تنظيم الدولة الإسلامية
ص ٥٤	الخاتمة
ص ٥٥	النتائج
ص ٥٦	التوصيات
ص ٥٨	المراجع
ص ٦٠	الفهرس

